سوريتنا
www.souriatnapress.net
souriatna@gmail.com
السنة الرابعة | العدد (160) | 12 تشرين الأول 2014

تكرير النفط مهنة في ثنايا الموت

مهن الحرب في سوريا

كوباني.. صمود أيل للسقوط

القرفصاء في النفق.. الطفل الذي بقي حياً في فرع المنطقة

ورش التصنيع العسكري في درعا

تجارة الكهرباء مهنة جديدة في الظلام السوري

عامل على إحدى الحرّاقات في الجزيرة السورية | ARA News

كوباني.. صمود آيل للسقوط

■ سلطان جلبي
من الحدود التركية السورية

بعد خمسة وعشرين يوماً من الهجوم الذي بدأه تنظيم الدولة الإسلامية على كوباني (مئة وأربعين كيلو متر شمال شرق حلب) وصلت الاشتباكات بين عناصر التنظيم من جهة، وقوات حماية الشعب ypg بالاشتراك مع تشكيلات من الجيش الحر من جهة ثانية، إلى قلب المدينة الكردية بعد أن كانت خطوط التماس بين المتصارعين تبعد عشرات الكيلومترات طوال الأشهر الماضية. كوباني الحدودية مع تركيا محاصرة فعلياً منذ أكثر عشرة أشهر، كونها محاطة بثلاث مدن وبلدات يسيطر عليها تنظيم الدولة الإسلامية هي تل أبيض شرقاً، جرابلس غرباً، وبلدة صرين جنوباً.

يقدر عدد اللاجئين الذين دخلوا تركيا من كوباني حتى الآن بأكثر من مئتي ألف لاجئ - ثلاثمئة ألف في تقديرات أخرى - فيما وصف بأكبر موجة نزوح جماعي من سوريا حتى الآن، وقبل أن تعلن القوات الكردية كوباني منطقة عسكرية خالية من المدنيين مع احتدام المعارك، كان الصحفيون قد منعوا فعلياً من العمل فيها، باستثناء أولئك المرضي عنهم من حزب الاتحاد الديمقراطي. لتبقى أعين العالم ترقب الأحداث المتسارعة في المدينة عبر العدسات المكبرة، ومن خلف سياج الحدود.

يومان يكفيان لإخلاء مدينة:

تصف شيرين تمو (31 عاماً) خروجها من كوباني بالمأساة، تقول: "تركنا خلفنا أحد عشر جثة من مقاتلي المدينة لم نتمكن من دفنهم، كان غالبية السكان قد غادروا في اليوم السابق، بقينا نحن حتى السبت 20 أيلول أملاً في أن يتغير شيء ما". لم يتغير الكثير على ما يبدو، وكانت شيرين واحدة بين خمسة وأربعين ألفاً من المدنيين الذين شكلوا موجة اللجوء الثانية، حيث سبقها بيوم موجة أكبر قدرت بحوالي مئة وخمسين ألفاً. تركيا كانت الملجأ الوحيد باستثناء عدد صغير من المدنيين الذين نزحوا إلى مناطق سيطرة التنظيم. "حدث الامر بسرعة كبيرة.." تقول شيرين: "كنا نسمع كل ساعتين بسقوط إحدى قرى الريف القريب بيد تنظيم "الدولة الإسلامية" في الأيام الأخيرة، ثم يبدأ نزوح سكانها باتجاه المدينة، استمر الأمر على هذا الحال لمدة يومين حتى وصل التنظيم إلى مشارف المدينة واضطر الجميع إلى مغادرتها آنذاك".

الطبيب محمد عارف علي، دخل مدينته كوباني منذ حوالي أربعة أشهر قادماً من تونس حيث كان يعمل. خلال المعارك الأخيرة كان محمد أحد الأطباء العاملين في مستشفيات كوباني، ذلك حتى غادرها بعد أن أعلنت وحدات حماية الشعب كوباني منطقة عسكرية. يتابع محمد "مع اشتداد المعارك قمنا بتجهيز أربع نقاط طبية متطورة توزعت على المدينة ومحيطها لاستقبال جرحى المعارك والقصف، لكن سرعان ما اضطررنا لتخفيضها إلى اثنتين، ومن ثم نقطة واحدة فقط بسبب تقدم المعارك وتقلص المساحات الآمنة لعمل للكادر الطبي". حسب الطبيب محمد فإن الأيام الأربعة الأخيرة قبيل خروجه من المدينة كانت هي الأصعب على الإطلاق، ورغم أنهم لم يعانوا نقصاً في المعدات والمواد الطبية، إلا أنهم واجهوا صعوبات من نوع آخر. "كنا نعمل تحت القصف المتواصل من تنظيم الدولة، كان الوضع خطيراً للغاية ومعظم الجرحى والقتلى كانوا من المدنيين، في كل مرة كانت طواقم الإسعاف تخرج في عملية، كان ثمة احتمال أن لا نلقاهم مجدداً". بعد أيام وجد الطبيب محمد وزملاؤه أنفسهم مضطرين لنقل جرحاهم إلى المستشفيات التركية بشكل متسارع ومتزايد. "استقبلنا في يوم واحد حوالي أربعين إصابة، استشهد منهم تسعة، وعدد كبير من الإصابات احتاجت لعمليات جراحية وعناية فائقة ومطولة، ذلك ما كنا نعجز عن تأمينه فكان علينا نقلهم إلى تركيا لكن ذلك لم يعني أن المصاب سيتم إنقاذه في كل مرة". وخلافاً للمناطق الحدودية الأخرى يبدو أن إدخال الجرحى من كوباني لتركيا يحتاج لإجراءات أكثر تعقيداً، يقول محمد عارف: "قضى ثلاثة جرحى على البوابة التركية نتيجة مماطلة سلطات المعبر في إدخالهم، فرغم أن الخدمات الطبية في مستشفيات "سروج" و"أورفة" جيدة بشكل عام، إلا أننا كنا نواجه في كثير من الحالات تمنُّع الجيش التركي عن إدخال الجرحى، أو نضطر للانتظار ساعات طويلة في حالات أفضل".

خلف السياج:

بالعودة لشيرين المحظوظة بتمكنها من إيجاد سقف يأويها وأسرتها الصغيرة، فهي حريصة أن تتجه كل يوم من مسكنها بالقرب من مدينة أورفة التركية إلى السياج الحدودي الذي يفصلها عن كوباني، تقول: "رغم أن معظم اللاجئين تم ايوائهم في مراكز ايواء جماعي أو في المخيمات التي أعدت على عجل، إلا أن آلاف من اللاجئين لازالوا يفترشون العراء قرب الحدود، أمي العجوز هي أحد هؤلاء". تتابع وقد غطت ملامحها لمسة من الحزن: "إنها عنيدة للغاية، مراراً طلبت منها أن تأتي معي إلى مسكننا الجديد الذي حصلنا عليه بعد عناء، لكنها تصر على البقاء قرب السياج الحدودي ناظرة طوال الوقت إلى المدينة المهجورة، لا أفهم ما الجدوى من ذلك؟". قرية سروج التي تبعد خمسة كيلومترات عن الحدود آوت العدد الأكبر من هؤلاء اللاجئين، بني في القرية مخيم يتسع لحوالي مئتي خيمة، كذلك مباني المدارس والصالات والمنازل وحتى المحلات الشاغرة أصبحت مساكن مؤقتة، وبالطبع كانت الحدائق والساحات من نصيب الأسوأ حظاً، إلى الشمال من سروج عدة كيلومترات تأتي قرية (علي كرو) ثاني أكبر تجمع للاجئين حيث تضم خمسة آلاف

في مخيم، وآلاف أخرى موزعة على المباني والساحات. تقول شيرين: "حين تسير في سوق قرية سروج تفاجئ بعدد المحال التجارية التي سكن فيها اللاجئون، بينما ضاقت ساحة "هَنّار" (الساحة الرئيسية في القرية) بمن يفترشون الأرض، وتحولت إلى قبلة الباحثين عن الوجبات الغذائية التي تقدمها مجاناً بلدية سروج". حزب السلام والديمقراطية الكردي (الجناح السياسي لحزب العمال الكردستاني) هو المستلم لزمام السلطات البلدية في هذه المنطقة الكردية. يشرف وأنصاره على عمل عدد من الجمعيات الأهلية والسورية في القريتين، بينما يغيب نشاط منظمات الأمم المتحدة والجمعيات التركية، التي يبدو أنها تبذل جهداً أكبر في العمل داخل المخيم الأقدم الذي أنشأته الحكومة التركية على الحدود مع كوباني. حول ذلك يقول (جوان) وهو ناشط في إحدى الجمعيات السورية العاملة هناك: "تحول العمل الإغاثي للاجئين إلى معركة سياسية بين الخصوم، المجلس الوطني الكردي استلم من الائتلاف الوطني مبلغ مئتي الف دولار لم يصرف منها شيء حتى الآن، وقلة من الجمعيات الناشطة هنا، تعمل كل منها دون تنسيق، الجمعيات التركية تعمل بشكل منفصل عن الكردية، والأخيرة منفصلة عن السورية". يستدرك جوان: "لولا المساعدة الكبيرة التي تلقاها اللاجئون من المجتمع الأهلي هنا لكان الوضع أسوأ بكثير، فالناس هنا تبرعوا بكل شي". في السياق ذاته يفيد المحامي (محمود بالي) رئيس لجنة الإغاثة في المجلس الكردي المحلي في كوباني: "العبء الأكبر من العمل الإغاثي يقع على كاهل بلدية سروج، وبلدية قرية علي كرو المحاذية لها، بينما جميع المنظمات الدولية والسورية مقصرة بشدة، حتى المبلغ الذي أعلن الائتلاف عن تخصيصه لإغاثة كوباني لم يصلنا منه شيء حتى الآن، إن درجات الحرارة تنخفض أكثر فأكثر كل يوم، الشتاء على الأبواب ومعظم الناس خرجوا دون أي أمتعة، الملابس والأغطية هي الحاجة الماسة الآن خاصة لمن لازالوا في العراء".

الأكثر تضرراً هم الأخفض صوتاً:

خلف صخب المعارك وقوافل اللاجئين غابت عن الأنظار بعض القصص، منها قصة الستة آلاف لاجئ الأكثر تعرضاً للخطر، لازالوا عالقين داخل حقل للألغام وفي مرمى مدفعية تنظيم الدولة الإسلامية حتى اليوم، كما يقول (محمود بالي): "لأن الجيش التركي لا يسمح بدخول أحد من هذه المنطقة، بقي هؤلاء عالقين في المنطقة المحرمة بين تركيا وسوريا، بانتظار إدخال سياراتهم وأمتعتهم التي استطاعوا انقاذها واحضارها معهم". مضى أكثر من أسبوعين على ذلك، انفجر خلالها ثمان وستون لغماً حسب إحصائيات متطوعي الهلال الأحمر السوري، أدى انفجارها لسقوط ثلاثة قتلى من اللاجئين على الأقل، سبعة حالات بتر بينها أطفال، أيضاً عشرات الإصابات بين متوسطة وطفيفة. لكنهم اليوم يواجهون خطراً آخر هو الجوع بعد أن نفذت الأغذية لديهم. وجوع هؤلاء يقابله جوع اللاجئين المضربين عن الطعام لدى الجيش التركي، كما يقول الطبيب (محمد عارف) الذي كاد أن يحتجز معهم. "يوم الأثنين السادس من تشرين الأول، كنا مجموعة مؤلفة من مئة وخمسين شخصاً حاولنا عبور البوابة إلى تركيا، ضمت المجموعة أفراد من الكادر الطبي وموظفون من الإدارة الذاتية مع أسرهم، أما الباقي فكانوا من الأشخاص العاديين، قام الجيش التركي باحتجازنا والتدقيق في هوياتنا. تم الإفراج عني والكادر الطبي لكن الباقي بقوا محتجزين، لازلت اتواصل معهم عبر الهاتف وقد أكدوا أنهم دخلوا إضراباً عن الطعام احتجاجاً على سلوك الجيش التركي". اللاجئون الذين خرجوا من كوباني في وقت متأخر كانوا متهمين بالانتماء لحزب الاتحاد الديمقراطي الفرع السوري من العمال الكردستاني، مجموعة الطبيب محمد عارف ومجموعة أخرى غيرها على الأقل تعرضوا للاحتجاز، ويؤكد (محمد عارف) أن عدد المحتجزين حتى الآن "حوالي مئتين بينهم تسعة أطفال وثلاثة وثلاثون امرأة".

لا تزال المعارك تسير بضراوة داخل كوباني، ومن بعيد ترحل عيون المشردين الأكراد إلى مدينتهم ملاحقين صوت كل انفجار وعمود دخان محاولين اكتشاف منزل من ذاك الذي ضرب للتو، هل هي قذيفة مدفعية أم صاروخ من طائرة، أم لعله سيارة مفخخة؟ من الصعب معرفة ذلك تقول أم شيرين العجوز "كلها تخرب البيوت في النهاية".

صور التقرير على الحدود التركية: عدسة سوريتنا

القرفصاء في النفق..
الطفل الذي بقي حياً بعد شهرين من الاعتقال في فرع المنطقة

■ دمشق - عامر محمد

قلّب وائل صوره الشخصية عبر هاتف أخته النقال الذي كان بحوزته، ليرينا كيف كانت هيئته قبل شهرين، شاب مفتول العضلات مرتب الهندام، الآن يقف أمامنا هزيلاً وحليق الرأس، بعيون متعبة، وعلى رقبته أثر كدمة، فيما كان يتناول الطعام طيلة فتره وجودنا معه، ويسرد لنا ما شاهده وما اختبره في المعتقل، فهو اعتقل حين مرّ من حاجز حي الزاهرة بدمشق، كانت تهمته على الحاجز أنه فلسطيني سوري كُتب على هويته أنه ولد في مخيم اليرموك المحاصر بجنوب العاصمة، أنزله العنصر من سيارة الأجرة وطلب منه التوقف بجانب الجدار قبل أن يُصحب بسيارة خاصة إلى فرع المنطقة وهو معصوم العينين، ويصبح نزيلاً في "النفق".

"النفق" بحسب وصف وائل لسوريتنا، ما هو إلا ممر يربط بين مجموعة من القاعات والزنزانات والغرف، العدد الكبير من المعتقلين جعل ضباط الفرع يقررون أن يكون الممر مكاناً جديداً للاعتقال، عرض الممر يكفي لكي يجلس وائل القرفصاء وظهره مسنود بشكل كامل إلى الجدار، ويحتضن ركبتيه ملتصقاً بمعتقلين آخرين، قدر وائل عددهم بـ 50 شخصاً، وهو أصغرهم سناً، إذ يبلغ عمر وائل ساعة اعتقاله 17 عاماً، لم يستطع وائل أن يتحدث إلا للمعتقل الذي يجلس في ذات الوضعية على يمينه، فمن الممنوع عليه أن يتحدث مع من يجلس إلى يساره، وهذا بالطبع يطبق على جميع المعتقلين في "النفق".

يدخل وائل إلى الحمام مرة واحدة في الأسبوع ويدخل معه خمسة معتقلين في ذات اللحظة، الجميع عراة تماماً، وينتهي الحمام بعد خمس دقائق في أحسن الأحوال، بينما نام طوال شهرين في ذات الوضعية التي كان يجلس بها، أشرنا لوائل لتلك العلامة في رقبته، فقال وهو يستخدم يديه ليشرح أكثر " الضابط في التحقيق كان يضع يده هنا لخنقي، كان صوتي ينقطع ويكاد نفسي أن ينقطع أيضاً، وحين أصرخ في نهاية الألم أو النفس، يسحب المحقق يده ويضربني على وجهي، هذه العلامة واحدة من العلامات الكثيرة على جسدي" وأثناء الجلوس في النفق يمر صف الضباط والعناصر باتجاه الزنازين أو المكاتب، فيقف كل النزلاء ويتوجهون بوجوههم نحو الجدار، يحق لأي مارٍّ أي يعتدي ضرباً أو حرقاً بنار سيجارة على أي من الملتصقين بالجدار.

في "النفق" يشرف على ضبط المعتقلين ومراقبتهم معتقلون قدامى يقول وائل، فمن أمضى أكثر من عام في الاعتقال، يصبح مراقباً ومساعد محقق، ويتابع "من كان يشرف على تعذيبي هو ضابط لم أرى وجهه أبداً، فحين أُقتاد للتحقيق تُعصب عيناي، من كان ينفذ التعذيب هو معتقل، كان يضربني بوحشية، ويتمادى في ذلك، إحدى الوضعيات التي ألمتني ولحد الآن، هي

وضعي بشكل مقلوب على كرسي ورأسي نحو الأسفل، تعلق يداي بحبل حديدي وترفعان نحو السقف، حين تصلان للنقطة الطبيعية لارتفاعهما يبدأ الألم مع رفعهما أكثر وأكثر، كان جسدي يتمزق، وكنت أصرخ، هنا يرفع المحقق العصبة عن عيني، بعد أن أصبح في الخلف مني، وقال لي أنظر إلى كتفك، نظرت، وجدت عظم لوح الكتف برز لدرجة جعلتني أتمكن من رؤيته بطرف عيني، حينها ضربني الضابط بقدمه على عظم اللوح فيما لا تزال يداي مرفوعتان".

استمر تعذيب وائل لمدة أسبوعين، تعذيب بلا أي تحقيق أو توجيه تهمة، كان وائل ينتظر أن يدافع عن نفسه حين ستوجه له تهمة واضحة، يقول إنه استطاع أن يبقى صامداً مع ذلك الألم النفسي والجسدي لأنه كان ينشط في مجال الدعم النفسي قبل اعتقاله "عليك أن تبقى صامداً ولا تفكر، لا تسألني كيف، لكن عليك ذلك، هناك بعض المعتقلين الذي يصابون بنوبات غريبة، ينهارون، يفقدون الوعي تماماً، ثم يموتون، أنا تعرضت لهذه الحالة لمرتين، حين بدأت تدور في ذهني أسئلة من قبيل، هل سأخرج من هنا؟ كيف هي أمي؟ هل تعلم أني هنا؟ ما هي نهايتي؟ ارتفعت حرارتي وأغمى علي، اقتادني معتقل آخر إلى الحمام ورشني بالماء، تسمى الحالة بين المعتقلين بـ "الفصلان" إذا مررت بها فلن تحيى" وائل لم يكن يتوقع أبداً أن يخرج من معتقله، كان متأكداً من موته، خاطب نفسه بأنه سيلتقي بوالده المتوفى في الجنة "قلت لنفسي سأرتاح من كل شيء، من الحواجز، من حصار المخيم الذي تعيشه أمي مع أخوتي، من كل هذه الجوع

وهذا الألم". شاهد وائل معتقلاً في "النفق" قدر عمره بخمسة وستين عاماً، وشاهد معتقلاً ضريراً، وآخر بترت أقدامه، وقال إن هناك معتقلون أكملوا العاميين في "النفق".

سألنا وائل عن ما يخطط له اليوم، وكان مقتنعاً بأنه سيسافر من سوريا ولا ينوي العودة إليها أبداً، فحين اعتقل كان يتقدم لامتحانات الشهادة الثانوية، وكان من الطلاب القلائل الذي غادرا المخيم برعاية الأمم المتحدة –منظمة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين - ووزارة الشؤون الاجتماعية السورية وعدد من الفصائل الفلسطينية، ولم تشفع له الورقة التي حملها على الحاجز حين اعتقل، وعاش حصار اليرموك وأيام جوعه وقلة الطعام فيه، في "النفق" كان الطعام الذي يقدم لوائل ومن معه، هو حساء فيه بعض الأرز يقول "اشتقت أمام هذا الطعام لما كنت أكله في المخيم المحاصر، لمرة واحدة أطعمونا قطعة صغيرة للغاية من البطيخ الأحمر، يبدو أن أمراً ما جعلهم يقدمون هذا الطعام لنا في ذلك اليوم، أذكر جيداً أن المعتقلين المشرفين علينا، حصلوا في أخر النهار على قطعة كبيرة من البطيخ كمكافأة لهم، فهؤلاء مستعدون لفعل أي شيء مقابل سيجارة واحدة تُعطى لهم في آخر اليوم".

يقول وائل إن كل معتقل جديد، يجبر على القيام بأعمال تسمى "السخرة" وهذه الأخيرة تتضمن نقل جثث المعتقلين الذي قضوا من شدة الإعياء أو تحت التعذيب "كنا نحملهم في "بطانية" رائحتها سيئة للغاية، ونلقيهم في مكب نفايات، لا أعلم ما هي الخطوة التي تلي ذلك، لكنني حملت عدداً كبيراً من الجثث".

يتابع "أيقظوني مرة عند الرابعة صباحاً، كان الضابط الذي لا أراه أبداً، يجلس في غرفة التحقيق، أعرف ذلك من رائحة سجائره، بينما يقوم المعتقل الذي يعذبني بوضع وجهي على الجدار، ويضربني المرة تلو المرة، الدماء كان تسيل من أنفي وفمي، وتصبح عيناي حمراوين، كان جميع المعتقلين بعيون حمراء يحتبس فيها الدم" حتى الآن لم توجه

لوائل أي تهمة ولم يحقق معه بعد" قال لي الضابط اتخذ وضعية جاثياً وبدأ تعذيبي، الضابط المحقق لم يضربني بيده أبداً، كان يستخدم قدمه فقط، هو يرتدي "بسطاراً" عسكرياً، قال لي مرة وحرفياً إنه لا يضربني بيديه كي لا تتسخا، كنت أحرق بالسيجارة، كانت دخانا عربياً يلف يدوياً، يتميز بنهاية غليظة".

يقول وائل "طلبت مرة من الضابط أن أقبل قدمه كي يتوقف عن تعذيبي، قال لي أن حذائه أنظف مني، رجوته باسم الله، فكفر كثيراً، قلت له من أجل السيد الرئيس، قال لي: الآن عرفته كنت تشتمه في المخيم!، نعم طلبت تقبيل قدمه لكنه رفض، كان الألم قد بات لا يحتمل أبداً فاق طاقتي وقدرتي على التحمل".

وجهت لوائل سبع تهم من قبل الضابط المحقق هي:

1 - المشاركة في مظاهرات في مخيم اليرموك حين كان تحت سيطرة الجيش السوري.

2 - توجيه اتهامات للنظام السوري عن طريق وسائل الإعلام.

3 - الانتساب لتنظيم جبهة النصرة.

4 - سرقة المنازل في مخيم اليرموك.

5 - حماية المقرات الخاصة بالمسلحين في مخيم اليرموك.

6 - تأمين الطعام لمسلحين في مخيم اليرموك.

7 - الخروج من مخيم اليرموك بطريقة غير شرعية

يقول وائل إنه أنكر جميع التهم حين تلاها عليه الضابط، وأنه أعترف بأنه ساهم في مظاهرات في الفترتين اللتين عرفهما المخيم، فتظاهر ضد النظام في البلاد حين كان الجيش ينتشر فيه، وضد المسلحين حين دخلوا إليه، ويصف نفسه بأنه محايد سياسياً اليوم.

أطلق سراح وائل بحكم قضائي برء ذمته من جميع التهم التي وجهت إليه في المعتقل، ونص الحكم على أن جميع الاعترافات التي وقع عليها انتزعت منه تحت التعذيب، لكن هذا لم يكن ليحدث لولا أن عائلة وائل وأصدقاء لها في دمشق، تمكنوا من دفع نصف مليون ليرة كرشوة لسماسرة كي يحول وائل إلى سجن عدرا ومنه إلى القصر العدلي الذي أطلق سراحه.

حين وصل وائل إلى القصر العدلي كان حافي القدمين، ولا يملك أي مال، وحين غادر القصر العدلي ركض إلى بائع حلويات وطلب منه طبقاً وأخبره أنه لا يمتلك المال ليدفع له، أعطاه البائع ما طلب، فجلس على الرصيف يأكله، وهو غير مصدق أنه خرج للتو من اعتقال يصفه بالممت.

السوريون يرحلون وعينهم على الوطن

■ دمشق - أنليل فارس

منذ عقود يرافق حلم السفر معظم الشباب السوري، كحل وحيد يضمن بناء مستقبل يؤمن لهم الحد الأدنى من تحقيق ذاتهم، فالخارج مولود والداخل معدوم، زادت هذه الرغبة بشكل كبير خلال السنوات الثلاث الماضية، حيث قلّت فرص العمل وكثر الاعتقال التعسفي والموت بالمجان، ولم يعد الشباب يشعر بالاستقرار ولا يرى مستقبلا له ولأبنائه في أرض غرقت بدم أبنائها.

"لم تعد هذه البلاد تحمل مستقبلا، فالموت والجهل هو رأس مال سكان سورية لسنوات قد تطول"، ويضيف جواد، اختصاصي برمجيات كان يشغل منصبا إداريا مهما رغم أنه لم يبلغ الخامسة والثلاثين من عمره، لـ"سوريتنا"، "لم أعد أستطع أن تكمل ابنتي حياتها على أزيز الرصاص ومشاهدة المظاهر المسلحة، وسط أجواء من الكره والحقد والتجيش المتبادل الديني والسياسي، ما يبشر بجيل سيحمل أحقاد الـ1400 عام الماضية، وهذا لا يمكن أن يبني المستقبل الذي حلمت به لطفلتي".

ولفت إلى أنه "تنازل عن كل شيء حققه في بلده ومنزله وسيارته، على أن يبدأ من الصفر في إحدى الدول الأوروبية، مقابل أن يضمن فرصة لأسرته"، ذاكرا أنه "سافر عبر الصين إلى إحدى الدول الأوروبية، حيث استقبل ووضع في منزل لم يكن يحلم به في بلده، كما لاقى الكثير من الاهتمام من السلطات هناك، وسهلوا له مسألة ضم الشمل وما هي إلا أسابيع قليلة وتلتحق به أسرته".

ورغم أن صوته وملامح وجهه تحمل الكثير من الألم والحنين إلى عمله وأصدقائه، إلا أنه يعود ليقول "لم يعد هناك مجال للعيش في سوريا، ويجب أن أنقذ أسرتي"، مبينا أنه "رغم ذلك يحلم بالعودة إلى منزله وعمله، في حالة انتهت الحالة الراهنة للبلاد، وتوقف القتل والاعتقال".

من جانبه، قال ربيع، فنان تشكيلي؛ لـ"سوريتنا"، "فيما مضى كنت أحلم أن أزين دمشق بلوحاتي، لكن النظام أراد أن يبدل ريشتي ببندقية ويغرق يداي بدم أناس ذنبهم أنهم ثاروا لكرامتهم"، مضيفا "لم أقو على الالتحاق بجيش النظام فأنا لست مقاتلا، ما اضطرني للهرب إلى بيروت، ورغم الحياة القاسية التي أعيشها اليوم تبقى أرحم من أن ألطخ يدي بدم سوري واحد".

وأضاف "أحلم أن أسافر إلى إحدى الدول الأوروبية حيث من المتاح أن أكمل دراستي، وأجد من يهتم بالحياة وقيمتها، وليس من يهدر حياة الإنسان بالمجان".

من جهته، قال الدكتور جمال، دكتوراه في المعلوماتية، "أكملت دراستي أنا وزوجتي، وهي حاصلة على دكتوراه في الهندسة المائية، في إحدى الدول الأوروبية، عدت إلى سوريا في عام 2011، لإيماني أن الوطن بحاجة إلى أبنائه لتجاوز الأزمة التي تعيشها، ولكن للأسف تم تعيننا في إحدى جامعات القطر، براتب لا يتجاوز الـ20 ألف ليرة شهريا، كانوا لا يكفينا أجار المنزل ورغم ذلك استمرينا، ومن ثم بدؤوا يلاحقوني للخدمة العسكرية، دون أي اعتبار لشهادتي العلمية وما يمكن أن أقدمه لوطني، فقررت أن أهاجر أنا وعائلتي، فاستخرجت جواز سفر بتكلفة بلغت 600 ألف ليرة لأنني كنت ممنوعا من السفر وخرجت من الحدود بتكلفة 500 ألف ليرة".

وأضاف "للأسف وطني لم يمنحني الاستقرار، لكن دولة الاغتراب منحتني منزلا ووظيفة محترمة لي ولزوجتي، وبدخل جيد جدا، يضمن لعائلتي حياة كريمة كنت أتمنى أن تكون في وطني بين أهلي"، لافتا إلى أنه "يحلم بذلك اليوم الذي يتغير به الواقع المرير الذي تعيشه البلاد، ويصبح السوري محترم في بلده، ويؤمن له العيش الكريم".

بدوره، قال زياد، أحد عناصر مليشيا "قوات الدفاع الوطني" الموالية، "إني أبحث عن أي سبيل للسفر، فلا مستقبل للحياة في سوريا، فأنا اليوم إما قاتل أو مقتول، لكني أريد أن أعيش حياة طبيعية لقد مللت القتال ورائحة البارود"، مبينا أن سبب استمراره في القتال "عدم امتلاك خيارا أخر للحياة، بعد أن أغلق المعمل الذي كان يعمل فيه جراء الأحداث التي شهدتها البلاد، إضافة إلى أنها قد تحمي الشخص نسبيا من التعرض لأي اعتقال وتؤمن له الحصول على بعض احتياجاته الأساسية".

وأضاف أن "العقبة الرئيسية التي تحول دون سفره خارج البلاد عدم امتلاكه المال اللازم"، لافتاً إلى أن "كثيراً من الشباب الذين يقاتلون معهم يتطلعون إلى السفر خارج البلاد لكنهم عاجزين لأسباب عديدة".

بالمقابل، قال حسام، منشق عن القوات النظامية ومقاتل في إحدى الكتائب المعارضة، "تركت القتال في سوريا قبل شهرين وأنا مقيم اليوم في تركيا أنتظر فرصة للوصول إلى إحدى الدول الاسكندينافية"، مبينا أن "المنطقة التي يقاتل فيها أصبحت تحت تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام - داعش، ورغم انتظارنا الطويل للحصول على الإمداد لكن لم يصلنا شيء، لقد تاجرت فينا الدول كثيرا، لخدمة مصالحها الذاتية متناسين مصلحة الشعب السوري".

وأضاف أن "عناصر الجيش من أفراد وضباط انشقوا عن القوات النظامية، رفضا لما ارتكب من إساءات بحق المدنيين، وقاتلنا دفاعاً عن المدنيين لكن الغرب خدعنا ولم يمدنا بالسلاح الذي كنا نطلبه، وأنا أرفض أن أخوض حربا بالوكالة لذلك قررت أن أعتزل هذه الحرب، وقلبي يعتصر على وطني الممزق ودماء أهلي التي سفكت غدرا وعدوانا".

ونشط الفترة الماضية عمل عصابات تهريب البشر وكانت حصة السوريين الأكبر بينهم، وتنوعت الطرق فمن الطيران والاستعصاء في مطارات بعض الدول، إلى التهريب عبر البر، إلى التهريب عبر البحر، فقد سجلت العديد من القصص المأساوية حيث قتل مئات الأشخاص غرقا في حين ما يزال الكثير مجهولي المصير، في وقت تستمر العمليات العسكرية في مختلف المناطق السورية، ويسجل خروج عشرات الأشخاص باحثين عن بارقة أمل في استئناف حياتهم.

اللجوء، حق تكفله القوانين والمواثيق وتتجاهله الحكومات

■ دمشق - زليخة سالم

يواجه اللاجئون السوريون ظروفاً مزرية ومأساوية وخاصة في الدول العربية، وإن اختلفت من دولة لأخرى، ويعاملون بقليل من الإنسانية وكثيراً من العنصرية والفوقية، على الرغم من كل الحقوق التي تنص عليها الصكوك والمواثيق الدولية والعربية، والتي كانت ومازالت حبراً على ورق.

"نحن شعوب الأمم المتحدة، وقد آلينا على أنفسنا، أن ننقذ الأجيال المقبلة من ويلات الحرب التي في خلال جيل واحد جلبت على الإنسانية مرتين أحزانا يعجز عنها الوصف، وأن نؤكد من جديد إيماننا بالحقوق الأساسية للإنسان وبكرامة الفرد وقدره،، وأن نبين الأحوال التي يمكن في ظلها تحقيق العدالة واحترام الالتزامات الناشئة عن المعاهدات وغيرها من مصادر القانون الدولي واعتزمنا أن نستخدم الأداة الدولية في ترقية الشؤون الاقتصادية والاجتماعية للشعوب جميعها، هذه المقدمة هي جزء من ديباجة ميثاق الأمم المتحدة التي ارتضته الدول في سان فرانسيسكو عام 1945 وأنشأت بمقتضاه "الأمم المتحدة".

وقف العالم ما يقارب الأربع سنوات عاجزاً عن وقف نزيف الدم السوري، ومنظمات الأمم المتحدة ومنظمات المجتمع الأهلي ومنذ بدء الأزمة الإنسانية بعد قيام الثورة وهي تناشد الدول المعنية لتحمل مسؤولياتها وزيادة التمويل لتمكينها من القيام بدورها المنصوص عليه في ميثاق الأمم المتحدة، وقرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة، والمجلس الاقتصادي والاجتماعي، والإعلان العالمي لحقوق الإنسان، بعد أن حذرت مراراً من أنها تشرف على الإفلاس مما دفعها مؤخرا إلى تقليص المعونات عن الآلاف من اللاجئين، وقطعها عن جزء أخر مما يهدد بكارثة إنسانية، تضاف إلى الجحيم المادي والمعنوي الذي يعيشه اللاجئون في الدول المجاورة.

وإذا كانت الحكومات تتجاهل ما صادقت عليه وتعهدت به لحماية اللاجئين فعلى اللاجئين السوريين أن يعوا حقوقهم التي يكفلها القانون الدولي، وأن يتقيدوا بواجباتهم المنصوص عليها تجاه الدول التي لجئوا إليها، ومن يعلم حقوقه وواجباته جيداً يستطيع أن يطالب بها ويحصل عليها دون عناء وأخطاء.

ولهذا سنستعرض جميع الصكوك والمواثيق التي اعتمدت من الهيئات الأممية والعربية بخصوص اللجوء لتعريف اللاجئين بحقوقهم وواجباتهم تباعاً.

"الإعلان بشأن الملجأ" الذي اعتمد ونشر بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 2312 تاريخ 14 كانون الأول 1967 ينص على أن لكل فرد حق التماس ملجأ في بلدان أخرى، والتمتع به خلاصاً من الاضطهاد، ولا يمكن التذرع بهذا الحق إذا كانت هناك ملاحقة ناشئة بالفعل عن جريمة غير سياسية أو عن أعمال تناقض مقاصد الأمم المتحدة ومبادئها.

ويشير الإعلان إلى الفقرة الثانية من المادة 13 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والتي تنص على أن لكل فرد حق في مغادرة أي بلد، بما في ذلك بلده، وفي العودة إلى بلده، كما تنص الفقرة الأولى منه على أنه يحق لكل فرد حرية التنقل واختيار محل اقامته داخل حدود كل دولة.

وإذ تعترف بأن قيام دولة ما بمنح ملجأ لأشخاص يحق لهم الاحتجاج بالمادة 14 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان هو عمل سلمي وإنساني، وبالتالي لا تستطيع أية دولة أخرى أن تعتبره عملا غير ودي.

وتوصي الدول في الإعلان بأن تراعي، في ممارستها المتعلقة بالملجأ الإقليمي، ودون إخلال بالصكوك الراهنة التي تتناول الملجأ ومركز اللاجئين وعديمي الجنسية، استلهام المبادئ التالية

المادة 1

تحترم سائر الدول الأخرى الملجأ الذي تمنحه دولة ما، ممارسة منها لسيادتها، لأشخاص يحق لهم الاحتجاج بالمادة 14 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، ومنهم المكافحون ضد الاستعمار

لا يجوز الاحتجاج بالحق في التماس ملجأ والتمتع به لأي شخص تقوم دواع جدية للظن بارتكابه جريمة ضد السلم أو جريمة من جرائم الحرب أو جريمة ضد الإنسانية، بالمعنى الذي عرفت به هذه الجرائم في الصكوك الدولية الموضوعة للنص على أحكام بشأنها، ويعود للدولة مانحة الملجأ تقدير مبررات منح هذا الملجأ.

المادة 2

دون إخلال بسيادة الدول وبمقاصد الأمم المتحدة، ومبادئها، يكون وضع الأشخاص المشار إليهم في الفقرة 1 من المادة 1 محل اهتمام المجتمع الدولي.

حين تواجه دولة ما مصاعب في منح الملجأ أو في مواصلة منحه، تتخذ الدول، فرديا أو جماعيا أو من خلال الأمم المتحدة، التدابير التي يناسب اتخاذها، بروح من التضامن الدولي، بغية تخفيف عبء تلك الدولة.

المادة 3

لا يجوز إخضاع أي شخص من الأشخاص المشار إليهم في الفقرة 1 من المادة 1 لتدابير مثل منع دخوله عند الحدود أو، إذا كان الشخص قد دخل الإقليم الذي ينشد اللجوء إليه، إبعاده أو رده القسري إلى أية دولة يمكن أن يتعرض فيها للاضطهاد.

لا يجوز الحيد عن المبدأ السالف الذكر إلا لأسباب قاهرة تتصل بالأمن القومي، أو لحماية السكان، كما في حالة تدفق الأشخاص معا بأعداد ضخمة.

إذا حدث أن قررت دولة ما وجود مبرر للحيد عن المبدأ المقرر في الفقرة 1 من هذه المادة، تنظر الدولة المذكورة في إمكانية منح الشخص المعني، بالشروط التي تستنسبها، فرصة للذهاب إلى دولة أخرى، وذلك إما بمنحه ملجأ مؤقتا أو بطريق آخر.

المادة 4

لا تسمح الدولة مانحة الملجأ، للأشخاص الذين حصلوا على ملجأ فيها، بالقيام بأية أنشطة تتعارض مع مقاصد الأمم المتحدة ومبادئها.

"البوابيري" يعود لحياة السوريين

■ جرابلس - ناصر زين الدين

الحاجة أم الاختراع و"اللي مالو قديم مالو جديد" مقولتان تنطبقان على مهنة "البوابير" أو "البوابرجي" كما يقال في العامية، بعد أن انقرضت هذه المهنة وأصبحت ذكريات منسية، عادت هذه المهنة بنشاط وبزخم لحياة السوريين.

في سوق جرابلس بريف حلب الشمالي، وداخل دكان أبو نديم الصغير يتصدر البيور واجهة المعروضات في محل لبيع الأدوات المنزلية، ومما يلفت الانتباه التنوع وتفاوت الأسعار.

يقول أبو نديم صاحب المحل: "هناك أنواع عديدة، مثل (الحلبي، الهندي، المصري، الإسباني) كما أن حجم الرأس يختلف فهناك الصغير والكبير والمتوسط، فالعائلة الصغيرة تفضل الرأس الصغير وهو أقل بالمصروف، وسماكة صاج الخزان، ونوعية المناصب، وجودة الصناعة، والسعر يتحدد وفق نوع رأس البيور المركب".

ويوضح أبو نديم الفارق بين هذه الرؤوس: "الرأس الهندي والإسباني لهما الصدارة، فأعطالهما نادرة بالمقارنة مع الرأسين المصري والحلبي، فالرأس الحلبي والمصري يتعرضان للانسداد بسرعة، ولا سيما أن الكاز غالباً من نوعية رديئة، ويسببان مشاكل بالتشغيل".

ومع اندلاع المعارك في أكثر من منطقة سورية ارتفعت أسعار المواقد الغازية كما أرتفع سعر أسطوانة الغاز إلى عدة أضعاف مما أدى لعودة هذه المهنة بقوة في المناطق المحررة دون الخاضعة لمناطق النظام، وذلك لسببين: توفر مادة الغاز بأسعار مقبولة في المناطق الخاضعة لسيطرة النظام، ولغلاء مادة الكاز في مناطق النظام مما يجعل استخدام البيور لا يحقق الجدوى الاقتصادية المرجوة.

يحدثنا البوابرجي أبو نديم: "كنت أعمل في مجال الكهرباء الصناعية، ونتيجة وضعي الصحي افتتحت محلاً تجاريا بالشراكة مع إخوتي الذين يمتلكون ورشات الخياطة، لكن الهجمة الشرسة ولا سيما البراميل أجبرتنا على النزوح وتركنا المحلات والأرزاق وراءنا، وفكرت بمهنة بسيطة أعيش منها، فاستأجرت كما ترى دكاناً صغيراً، والحمد لله الأمور جيدة".

وحول مشاكل استخدام البيور تقول أم سلوى: "لا مشاكل تذكر هو حل أنقذنا من لهيب أسعار أسطوانات الغاز، والمشكلة التي أعانيها ولكن ليس دائماً هي الشحار مما يؤدي لنزع منظر الجدران واتساخ أرضية المطبخ. " وتتابع مبتسمة: " وزوجي يتضايق من صوته، لكنه يضطر للسكوت لأن دخله لا يسمح له بشراء أسطوانة الغاز التي وصل سعرها 6 آلاف (ثلث راتبه تقريباً)".

وعن مشكلة (الشحار) يقول أبو نديم: "يعود الشحار لنوعية الرأس أولاً، ولنوعية الكاز المستخدم ثانياً، فالرأس الهندي والإسباني لا يشحوران إذا كان الكاز جيداً، على عكس الرأسين الحلبي والمصري اللذين يشحوران دائماً".

ويضيف: "بالنسبة للأعطال فهي بسيطة جداً لأن آلة البيور بسيطة وغير معقدة، فأغلب الأعطال عبارة عن انسداد في الرأس، أو تهريب للكاز، أو وجود تنفيس، أو عطل بالجلدات أو الفالة، أو ثقب بالخزان باختصار هي أعطال بسيطة". ويُرجع أبو نديم أغلب المشاكل بالبيور للكاز المستخدم: "أغلب الكاز غير نقي ويحتوي على شوائب، في إحدى المرات جاءتني سيدة تقول إن اللهب يرتفع عالياً دون أن يشتغل البيور، ففحصته معتقداً وجود تهريب للضغط فلم أجد، فقمت بتشغيله فوجدته سليماً 100٪ فكان العطل بالكاز المستخدم ليس إلا".

وبسبب الطرق البدائية في تكرير النفط تختلف نوعيات الكاز المستخدم في تشغيل البوابير فبعض الأنواع تعتبر جيدة وآمنة والبعض الآخر يعتبر خطر جداً. "ليس له أية مخاطر إذا استعمل بشكل سليم، والمخاطر ناتجة عن استعمال الكاز الجيد غير المخلوط بالمازوت أو البنزين، فالكاز إذا سكب على الأرض لا يحترق، عكس البنزين القابل للاشتعال، وبعض السيدات تستسهل استخدام البنزين لأنه سريع التشغيل ولا يشحور، ولكن مخاطره كبيرة جداً، كما يجب إبعاده عن الستائر وكل شيء قابل للاشتعال من زيوت ودهون ومواد عطرية وأقمشة، ويجب استعمال (النكاشة) المناسبة للفالة، وتغيير الجلدات وقت الحاجة. " بحسب أبو نديم.

ويؤكد أبو نادر وهو بائع كاز ما قاله أبو نديم بالقول:"نوعية الكاز تختلف بين دفعة وأخرى، لأن معظم المصافي بسيطة، لذلك يبقى فيه كثير من الشوائب، وكثير من الأهالي يخلط معه قليلاً من البنزين المكرر الذي يساعد على جودة احتراقه، ولكن خلط كميات كبيرة يدخلك في دائرة الخطر".

وقد أصبح البيور من الأساسيات في منزل كل أسرة تقطن في المناطق المحررة، تقول أم سلوى: "كنا نشتري لتر الكاز بـ 65 ل س، أما الآن فإننا نشتري اللتر بـ 125 ل س بسبب قصف قوات التحالف للمصافي النفطية، ولكن رغم ذلك يبقى أرخص بكثير من أسطوانة الغاز التي وصل سعرها إلى 6 آلاف ل س". وتتابع أم سلوى: "حتى لو انتهت الأزمة فإنني سأحتفظ بالبيور، فناره قوية ويصلح لطبخ الأطعمة التي تحتاج لنار قوية أكثر من الغاز".

كيف أصبح القتل مهنة والسرقة رزقاً حلال

■ مها الخضور

مع انطلاق ثورات الربيع العربي أسس رامي مخلوف أول شركة أمنية خاصة في سوريا في شهر كانون الثاني 2011 ببلدة "دير علي" التابعة لمنطقة "الكسوة" جنوب دمشق، وقوامها بعض الشباب العاطلين عن العمل من أبناء الطائفة العلوية ممن تقدموا بطلبات انتساب رسمية للتوظيف في تلك الشركة لحماية الشركات والبنوك الخاصة في حال تعرضها لأي خطر محتمل حسبما أخبرهم المسؤولون في تلك الشركة، ولم يخف العديد من هؤلاء الشبان فرحهم بالعمل الجديد ذي الأجر الجيد بالمقارنة مع بقية الموظفين.

"بعد ذلك بفترة وجيزة وتحديداً في شهر نيسان 2011 بدأ نشاط جمعية البستان المملوكة لرامي مخلوف أيضاً في مدينة حمص وبالتحديد في أحياء الزهراء والأرمن ووادي الذهب الموالية للنظام حيث تم تسليح من يرغب من تلك الأحياء بأي سلاح يريده بحجة ضرورة الدفاع عن أحيائهم وكانت الدعوات الأولى لتشكيل "لجان شعبية" ثم بدؤوا بشن حملات هجوم على التظاهرات أو الأحياء المعارضة ورفعوا شعار "شبيحة للأبد لأجل عيونك يا أسد" للمرة الأولى" بحسب ما يقول فراس 36 سنة من حمص.

ويضيف: "كان المسؤولون الأمنيون يروجون للشباب من الأحياء الموالية أنه بانتسابهم يقومون بعمل وطني لقتال الخونة أو لقتال الأفغان والأتراك والألمان والسعوديين والليبيين الذين تدفقوا نحو سورية بالآلاف لمسح وجود الطائفة العلوية".

قاد قدامى ضباط الجيش أو بعض المجرمين الذين تضررت أعمالهم بسبب الثورة مجموعات الشبيحة واعتمد النظام عليهم أكثر فأكثر أثناء الاقتحامات وتفتيش المنازل وكانت تلك المجموعات ترى في مؤازرتها للنظام مصدر رزق آخر إضافة إلى الراتب المعلن حيث سمح لهم بفعل ما يريدون وحمل أي شيء يتمكنون من حمله ليتاجروا به في أسواق خاصة بتلك المسروقات أطلقوا عليها اسم "سوق السنة" في مدن وأحياء عدة ولعل أشهرها حي الأرمن في حمص.

أبو بسام 55 عام، أحد أبناء إحدى القرى العلوية في ريف حمص الشرقي يستنكر تغير أخلاق الناس التي لم تعد ترى السرقة حراماً أو حتى أمراً معيباً بل إنهم يتفاخرون بدورهم في المهمة الوطنية، ويضيف "حدثني شاب من اللجان الشعبية كيف شارك في عدة حملات مداهمة للإرهابيين في أحياء الخالدية والقرابيص وغيرها وأنه في كل مرة كان ينتظر مع زملائه حتى ينتهي عناصر الأمن من التفتيش ليبدأ دورهم بالتعفيش وهنا يختص كل فريق بمهمة محددة فهناك من يبدأ بحمل الكهربائيات وبعدها بقية المفروشات إلى أن ينهي فريق (النمل) العملية بتسحيب الأسلاك الكهربائية من الجدران والكل يبحث عن رزقه".

ارتبطت أغلب المجموعات المقاتلة من الشبيحة بكبار الضباط من أفرع أمنية أو ممولين تابعين للنظام لتكوّن في مابعد ما عرف (بجيش الدفاع الوطني) وهو الاسم المرخص رسمياً للشبيحة، ولتحقيق مكسب ضبط العدد والاستغلال الأمثل للقوات الغير منظمة وإعطائها صفة رسمية أمام الجميع، ولمأسسة الاستقطاب لهذه المجموعات تحت مسمى الدفاع عن الوطن.

وبسبب الأجر العالي أو لأسباب عقائدية انضم الشبان العاطلين عن العمل أو من أصحاب المهن الذين تضررت مهنهم للقتال في صفوف (جيش الدفاع الوطني) ضد أبناء بلدهم.

رامز 32 عام، لم يكمل تعليمه ولكنه أتقن مهنة تلبيس الحجر وكانت مصدر دخل جيد له ولعائلته قبل أعوام ولكنه يقول "أن الناس لم تعد تفكر بمنظر البيت وصار همها تأمين طعام أبنائها وسلامتهم".

انضم رامز إلى "جيش الدفاع الوطني" وهو مقتنع بأنه يقوم بعمل "وطني" للتصدي "للإرهابيين الذين جاؤوا من بلدان العالم لتدمير سوريا".

وعن الراتب والميزات التي يتحصل عليها بانضمامه بهذه المليشيا يقول رامز: "احصل راتب شهري يعادل 160 دولاراً، إضافة لتسليمنا بندقية روسية أو مسدس حسب المهمة ويسمح لي بالاحتفاظ بحصة من كل ما ينهب بعد أي معركة اخوضها".

ساهم (جيش الدفاع الوطني) بحسم العديد من المعارك لصالح النظام وأعاد التوازن للمؤسسة العسكرية المترنحة، غالبية أفراده هم من أبناء الطائفة العلوية ولكن ذلك لا ينفي انضمام العديد من أبناء الطوائف الأخرى لهذه الميليشيا. فقد شهدت حلب في العام 2012 عمليات قتل وتشبيح على يد شبان من الطائفة الأرمنية كما أن شبيحة أحياء جرمانا والدويلعة وغيرها هم من الشبان الدروز والمسيحيون من أبناء تلك الأحياء.

يقول الملازم أحمد قائد إحدى كتائب الجيش الحر في اللاذقية "الغالبية العظمى من منتسبي الدفاع الوطني في المناطق الساحلية هي من العلويين، لكن مجندي قوات الدفاع الوطني في حلب وحماة وجميع المحافظات الأخرى هم من جميع الأديان".

"وازدادت في الفترة تجنيد الشباب للقيام بعميات القتل والسرقة ضد المعارضة إلا أن وصل الأمر لافتتاح العديد من المكاتب التي تعمل على جذب المتطوعين ومنها مكتب (حزب الطليعة) برئاسة عمار الأسد في حي الرمل الجنوبي في مدينة اللاذقية، ومكتب (صقور الصحراء) برئاسة أيمن الجابر في حي السكنتوري ومكاتب أورال معراج التركي الذي عرف باسم علي الكيالي في كل من حيي القلعة وبستان القصر" بحسب الملازم أحمد.

تداعيات الحرب الطاحنة في سوريا جعلت مهنة القتل ضمن وحدات شبه نظامية أو مؤسسات أمنية تزاد نشاطاً يوماً بعد يوم ويزاد معه الشرخ الاجتماعي والوطني والسياسي بين السوريين.

أحد أسواق التعفيش في الأحياء الموالية

ورش التصنيع العسكري في درعا

■ درعا - سارة الحوراني

أدت ظروف الحرب في سوريا لارتفاع نسبة البطالة خاصة بين أصحاب المهن والحرف الذين فقدوا محالهم وورشهم في المنطقة الصناعية بدرعا، التي يسيطر عليها النظام، وبرزت في الوقت ذاته حاجة مقاتلي المعارضة للذخائر في ظل صعوبة وصولها من الحدود، ما دفع بأصحاب هذه الورش بامتهان تصنيع الذخائر والأسلحة الخفيفة ضمن ورشات كثيرة منتشرة في درعا، تشغل الكثير من شبابها.

يتحدث أبو خالد الحوراني 38 عاماً عن عمله في ورشة لتصنيع السلاح في درعا "كنت أعمل قبل الثورة في ورشة كهربائية، ومع بداية العمليات العسكرية على درعا فقدت عملي حينها، وبدأت بالعمل في ورشة صغيرة لتصنيع الذخائر".

ويضيف "مع اتساع الجبهات في درعا وريف دمشق تطور عملنا في الورشة وازداد الطلب بسبب شح التسليح الخارجي للكتائب، فبدئنا بتجميع بقايا القنابل والصواريخ التي تلقيها قوات النظام على درعا واعادة تصنيعها وحشوها".

فقدان العمل ليس السبب الوحيد لانتشار العاملين في مهنة تصنيع السلاح في درعا كما في حالة "الحوراني" فهناك من انخرط في هذه المهنة الجديدة على المجتمع السوري لأنه وجد فيها فرصة جيدة للعمل تمكنه من تدبر صعوبة المعيشة في ظل الحرب.

أبو محمد البالغ من العمر 45 عاماً، وجد نفسه مسؤولاً عن التصنيع الحربي في كتيبته التي انضم إليها منذ ما يقارب العامين في محافظة درعا.

بدأت رحلته في التصنيع الحربي عندما زاره صديقه وجاره في المنطقة الصناعية، حيث عرض عليه العمل معه في كتيبة لتصنيع القنابل والعبوات الناسفة تابعة للجيش الحر بدرعا.

يقول أبو محمد: "بدأنا معاً خطوة بخطوة نصنع القنابل والألغام والعبوات الناسفة من مواد أولية كالسماد وبعض المواد الكيماوية التي توفرت لنا وأحياناً من قذائف وصواريخ النظام التي لم تنفجر ومن آلياته المعطلة، ومع ازدياد عمليات النظام الجوية والبرية على المدينة، طُلب منا تصنيع أسلحة قادرة على مقاومة هذه العمليات فبدأنا العمل بالصواريخ الصغيرة ومتوسطة المدى".

ويضيف: "كان الفشل حليفنا في البداية وتعرضنا لكثير من المواقف الخطرة، حيث انفجر أحد الصواريخ بمنصة الإطلاق، وآخر ارتفع بضع أمتار ثم انفجر، لكن بعد عدة محاولات تمكنا من الوصول إلى صاروخ من نوع كاتيوشا متكامل وتجربته أكثر من مرة بنجاح وتم إدخاله في عدد من المعارك في درعا وريفها".

وكأي مهنة أخرى جديدة يحاول العاملون فيها تطويرها وتحسن أداء عملهم، فمن المحاولات الأولى لتلك الورش في تصنيع الذخائر والقنابل البسيطة وصلت بعض الورش إلى تصنيع المدافع والصواريخ قصيرة المدى.

يقول أبو محمد: "تحول عملنا إلى صناعة المدافع الميدانية حيث تم تصنيع مدفع محلي الصنع "زلزال حوران" عيار 120 حيث استخدم في قصف مراكز للنظام في درعا البلد والمحطة، إضافة لتطوير مدفع آخر هو مدفع "جهنم" أكبر حجماً وأبعد مدى ويمتلك قدرة تدميرية عالية، تمت صناعته من مخلفات آليات النظام السوري المدمرة، واعتمدنا على جرار الغاز لصناعة القذائف".

إحدى ورش التي تحول للتصنيع العسكري

يتلقى "أبو محمد" لقاء عمله في ورش التصنيع راتباً لا يتجاوز 13 ألف ليرة سورية، فيما أُجبرت ابنته على ترك دراستها الجامعية خوفاً من الاعتقال بسبب عمل والدها، كما انخرط ابنه البكر في صفوف الجيش الحر بعد نيله شهادة الثانوية العامة وانسداد أفق متابعة دراسته الجامعية.

تسيطر قوات النظام السوري على منطقة درعا المحطة والتي تعتبر عصب الحياة التجارية والصناعية والخدمية بالمحافظة، بما تحتويه من أسواق تجارية ودوائر خدمية إضافة إلى المنطقة الصناعية حيث تحتوي وحدها على ما يقارب 2500 محل وورشة حرفية ومعمل.

أحمد شاب (25سنة) كان يعمل في مهنة الحدادة بورشة أسرته بالمنطقة الصناعية قبل أن يتركها للالتحاق بإحدى الكتائب العسكرية يقول "شاركت في عدة معارك صغيرة وتعرضت لإصابة في ساقي أثناء هجومنا على أحد الحواجز في الريف، نقلت إلى الأردن للعلاج وعدت بعدها إلى الداخل بإعاقة متوسطة منعتني من المشاركة كمقاتل فعدت إلى مهنتي كحداد، لا أصنع الأبواب والنوافذ، بل للعمل على تصفيح وصناعة الدروع للسيارات والآليات التي تحمل مضادات ورشاشات المختلفة".

ويضيف: "لم نكن نرغب بأن نتحول إلى صناع الأسلحة أو مستلزماتها، لكن النقص الحاد في السلاح والذخائر دفعنا للعمل في هذه الورش بالطبع لم يكن النجاح حليفنا منذ البداية بل تعرضنا لكثير من الصعوبات والفشل، وما زلنا حتى اللحظة نعاني من نقص كبير في المواد الخام والاوكسجين وبعض المعدات التي يكلف تأمينها مبالغ كبيرة حتى تصل إلينا من مدن ومناطق أخرى".

ليس الصناع والحرفيون وحدهم من انخرط بالصناعات الحربية المحلية، حيث التحق بها عدد من الطلاب الجامعيين ممن أجبر على ترك دراسته لظروف الحرب، والملاحقات الأمنية من قبل الأمن السوري.

أبو جعفر طالب في كلية الهندسة الالكترونية لم يتبقى له إلا عام دراسي واحد للتخرج، تعرض للاعتقال ثلاثة مرات خلال عامين مما دفعه للتوقف عن الدراسة بدمشق والبقاء في درعا، ثم انضم لاحقاً لإحدى الكتائب التابعة للجيش الحر والتي تقوم على تصنيع العتاد العسكري وخاصة المتفجرات.

يقول أبو جعفر:" لقد استفدت من دراستي في عملية تصنيع المتفجرات وخاصة العبوات الناسفة والقنابل اليدوية إضافة إلى المساهمة في عملية فك الألغام وإخلاء الصواريخ والقذائف والبراميل التي أطلقتها قوات النظام السوري ولم تنفجر".

وعن المخاطر التي يتعرضون لها في عملهم، يقول أبو جعفر: "عملنا بالغ الخطورة وخاصة لعدم توفر الأماكن والمعدات المناسبة، فمعظم ما نستخدمه في صناعة وتجهيز المتفجرات وفك الألغام عبارة عن أدوات بسيطة وبدائية، أصيب العديد من رفاقي بإصابات متفاوتة وأحدهم فقد حياته أثناء إزالته لقذيفة عنقودية من أحد الشوارع بالمدينة، ومع ذلك لا يوجد لدينا بديل إلا مواصلة العمل والاستمرار في تصنيع احتياجات الكتيبة ذاتياً".

وبالتوازي مع انتشار ورش التصنيع العسكري في مناطق كثيرة من درعا، انتشرت ورش لخياطة وتصنيع البدلات العسكرية وجعب الأسلحة وغالبية العاملين فيها من الخياطين.

وتتراوح تكلفة البدلة العسكرية من 7000 - 12000 ليرة فيما يتراوح ثمن الجعبة من 1000 - 3000 ليرة حسب نوعية القماش.

"تكرير النفط" مهنة في ثنايا الموت

■ الحسكة - عدنان أبو كنان

في غياب شبه تام لمقومات الحياة الأساسية، على امتداد مساحات واسعة من ريف الحسكة، وأمام تحديات كبيرة، على المستوى المعيشي، كانت الحاجة ملحة لإيجاد بدائل تقي الناس تدهور وضعهم المعيشي، فانتشرت مهنة جديدة على أهل المنطقة وهي مهنة "تكرير النفط".

محمد مهيدي 21 عاماً، من الشدادي بريف الحسكة الجنوبي انشق عن الجيش في العام 2012 منذ ذلك الوقت وهو يعمل في تكرير النفط بعد تدهور الأوضاع المعيشية لعائلته.

يقول "الخالد": "بعد انشقاقي من الجيش لم يكن لدي خيارات كثيرة بالعمل كوني لا أستطيع التنقل بسبب وضعي كمنشق، وتراجع مردود العمل في الزراعة لذلك اضطررت للعمل بتكرير النفط والذي اتحصل من خلاله على مردود حوالي 40 ألف ليرة سورية شهريا".

وتعتبر الحسكة من أهم المحافظات السورية بإنتاج النفط حيث بلغ انتاجها في عام 2011 حوالي نصف إنتاج سوريا من النفط البالغ 370 ألف برميل يومياً، لكن بعد اندلاع الثورة السورية توقفت كل المؤسسات والشركات والجهات التي تعمل على استخراج النفط وتكريرها بالطرق الحديثة.

المهنة الجديدة على أهل المنطقة سرعان ما انتشر العمل فيها بطرق بدائية جداً خاصة في مناطق تركز آبار النفط في كل من الشدادي والهول ورميلان والقامشلي وريفها.

حيث تتم عملية تكرير النفط بطرق تقليدية عبر "الحراقات"، والحراقة هي عبارة عن محطة تكرير نفط بدائية تتشكل من خزان مصنوع من الحديد تتراوح سعته بين 4 براميل و15 برميل، موصول عليه أنبوب من الأعلى مهمته فرز المشتقات النفطية بعد حرقها.

تعتمد تلك الحراقات في عملها بشكل اساسي على مادة الفيول (النفط الخام)، الذي ينتج عن الفرز، حيث يتم حرق كميات منه أثناء عمل "الحراقة" كوقود لتشغيلها، حيث يتم شراء المادة الخام من الآبار التي تعمل بشكل تلقائي "ضخ ذاتي" وهي منتشرة في عدة أماكن من المحافظة، يعتبر أجودها في منطقة ريف القامشلي بحسب "مهيدي".

يضيف مهيدي "نقوم بشراء الفيول وهو النفط الخام، من التجار الذين باتوا كثر في منطقتنا، والكمية بحسب حجم وسعة الخزان، ويمكن أن نميز بين أنواع عدة من الخام، بحسب جودتها، حيث يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أنواع، النوع الأول "الرويس" والذي يمكن الحصول على كمية كبيرة من مادة "المازوت" ثمن البرميل الواحد منه هو 5500 ليرة سورية، يقل سعر النوع الثاني حيث

يصل سعر البرميل إلى 3500 ليرة، أما النوع الثالث وهو نوع رديء جداً قيمة البرميل الواحد هي 2000 ليرة.

ويوضح مهيدي بأن كمية النفط المستخرجة من كل "طبخة" وهو مصطلح يطلق على العملية التي يستخرج من خلالها النفط ومشتقاته بعد الحرق، تكون الكمية المنتجة بحسب حجم خزان الحراقة، حيث كل 10 براميل خام من النوع الأول تنتج نحو 8 براميل "مازوت"، وتتناقص الكمية كلما كانت النوعية رديئة".

أما عن مراحل التكرير، فيقول صالح، وهو أحد العاملين في مجال تكرير النفط، لسوريتنا "نقوم بتعبئة الخزان الرئيسي بالمادة الخام، حسب سعة الحراقة، بعدها يتم إشعال النار أسفل الخزان، ودورها هنا رفع درجة الحرارة إلى أعلى مستوى، حتى تتم عملية الفرز، وتستمر عملية الحرق لمدة تتجاوز 3 ساعات، حتى تبدأ عملية التبخير عبر الأنبوب النازل إلى حوض ترابي مغطى بمادة النايلون مهمته هي التبريد لتكثيف المادة المتبخرة".

ويضيف: "خلال عملية الاحتراق يتبخر الغاز المنبعث من الأنبوب في الجو، بعدها يتم تقطير مادة البنزين ثم الكاز بكميات قليلة، لا يمكن الاستفادة منها، كون كمياتها قليلة، لنصل إلى المادة الأهم وهي "المازوت" لتنتهي العملية بعد أكثر من 5 ساعات".

مهنة تكرير النفط في الحسكة نشّط عمل تجار هم غالباً من سائقي السيارات التي تنقل المواد الناتجة من التكرير خاصة المازوت والبنزين إلى مناطق أخرى، حيث أصبح هؤلاء السائقين أشبه بمسوّقين.

"عملية التسويق تبدأ في كثير من الأحيان قبل البدء بالفرز، حيث يكون التجار الذين يقومون بتوزيع المادة الخام هم نفسهم من يشتري المادة السائلة بعد تكريرها، وغالباً لا تغطي حاجة المنطقة المحيطة، حيث باتت تعتمد كافة الآليات على إنتاج هذه الحراقات بالإضافة إلى المشاريع الزراعية في المنطقة والري وغيرها، نتيجة فقدان المادة النظامية من الأسواق منذ ما يزيد على الثلاث سنوات" بحسب عبد الله، 36 عاماً، وهو يملك سيارة لنقل المازوت من مناطق التكرير إلى مناطق تسويقها.

ويضيف عبد الله: "تشكل مناطق كثيرة من محافظات إدلب وحلب سوق تصريف لإنتاج الحراقات لكن تراجعت كميات الانتاج من المشتقات النفطية خلال الأيام القليلة الماضية، على خلفية الضربات الجوية التي يشنها طيران التحالف حيث تم استهداف عشرات مراكز تصفية النفط في الحسكة ودير الزور، كما أدى استهداف طيران لهذه المراكز إلى ارتفاع أسعار الوقود في السوق المحلية".

يقول عبد الله: "ترافق ذلك مع ارتفاع كبير في أسعار المحروقات بكافة أصنافها، وهي على الشكل التالي: برميل المازوت المكرر15000 ليرة سورية في وقت سابق كانت تسعيرة البرميل 7000 ليرة، بينما تجاوز سعر لتر البنزين المكرر 150 ليرة، أما النظامي فيباع بسعر 325 ليرة، والكاز سعر البرميل 17000 ليرة، هذا بالنسبة للمناطق التي تنشط فيها هذه المهنة".

وتعتبر مهنة تكرير النفط من المهن الخطرة جداً فالحراقة التي يتم فيها التكرير أشبه بقنبلة موقوتة من المحتمل أن تنفجر بأي لحظة، إضافة للأضرار الصحية الكثيرة جراء العمل في تكرير النفط.

وفي حديث عن الكوارث الصحية يقول الطبيب "إحسان" أخصائي بالأمراض الصدرية لـ سوريتنا: " تزايدت الحالات المرضية التي يعاني منها المشتغلون بتكرير النفط كضيق في التنفس، والالتهابات الرئوية، نتج عنها حالات وفيات بالعشرات خلال الأشهر الأخيرة".

ويضيف الطبيب المختص: "هناك عشرات حالات الاختناق بين الأطفال، وعدة حالات موت، يرجح السبب الأكبر لها هو استنشاق غازات سامة منبعثة من الحراقات المنتشرة في محيط التجمعات السكنية، بالإضافة إلى الأمراض الجلدية المزمنة".

وفي غياب أي أفق لنهاية الحرب في سوريا يبقى العمل بتكرير النفط خطراً لابد منه لكثير من السوريين بالرغم من معرفتهم بآثارها الصحية بشكل مباشر وغير مباشر عليهم وعلى البيئة المحيطة بهم.

التنقيب عن الآثار
مهنة جديدة لدى بعض السوريين

■ مهند النادر

مع استمرار الحرب في سوريا وتفشي الفوضى في البلاد، وارتفاع نسبة البطالة بين السوريين وغياب المؤسسات المسؤولة عن تنفيذ القوانين والتزام المواطنين بها، انتشرت ظاهرة التنقيب بين بعض السوريين كوسيلة لتأمين ما تحتاجه عائلاتهم من مستلزمات استمرار الحياة.

محمد. ج (33 عاماً) من أبناء تل شهاب التابعة لمدينة درعا يتحدث عن اضطراره للعمل في التنقيب عن الآثار بسبب حاجته للمال لإعالة أسرته.

يقول "محمد": "بسبب الحرب توقف عملي في بيع المواد المنزلية، والجميع يبحث عن الآثار ويجني منها المال عبر بيعها للتجار، فنحن أولى كوننا أبناء المنطقة".

ويؤكد "على انتشار أعمال التنقيب في وادي اليرموك في بلدات (اليادودة، خراب الشحم، تل شهاب، حيط..)، ويشارك فيها أبناء المنطقة بتغطية من مجموعات مسلحة متخصصة بسرقة الآثار".

ساهم الموقع الجغرافي والتاريخي الذي تتمتع به سوريا وما تحتضنه من آثار وشواهد تاريخية منتشرة على أرضها في أن تكون محط أنظار علماء الآثار وبعثاتهم والمهتمين في كل أنحاء العالم، وتجعل منها هدفا للسرقة والتهريب على مدار عقود من الزمن لكن بقي هذا التهريب والتنقيب يجري بشكل سري.

ففي محافظة الرقة "تعرض مبنى هرقل الأثري إلى السطو من قبل مجموعات مسلحة سرقت منه مئات القطع الأثرية" بحسب أحد العاملين في المبنى الذي رفض ذكر اسمه.

وأكد "على أن هذه المجموعات تتبع لتنظيم الدولة الإسلامية "داعش"، وأنهم يهربون القطع إلى تركيا ومنها تباع إلى تجار أوروبيين".

حال المناطق التي يسيطر عليها النظام لا تختلف كثيراً عن المناطق التي يسيطر عليها تنظيم "الدولة الإسلامية" فقد أزاد عمل المشتغلين بهذه المهنة بشكل كبير في الآونة الأخيرة في مدينة تدمر الأثرية حيث شهدت منطقة المدافن الجنوبية الشرقية العديد من عمليات التنقيب وطالت السرقات معبد "بل" الأثري".

يقول خالد العيسى وهو من سكان تدمر وكان يعمل في مجال السياحة أن "من يقوم بهذه الأعمال أشخاص من أبناء المنطقة معهم بعض الجنود لصالح ضباط الجيش المتمركز هناك مقابل أجرة متفق عليها تؤمن لهم شكل من الحياة في ظل هذه الظروف".

ولم تكن المناطق المحررة في الشمال السوري بعيدة عن انتشار هذه المهنة، خاصة بوجود عشرات المواقع الأثرية (كالمدن المنسية وتل مرديخ) في تلك المناطق وقربها من الحدود التركية والتي تنتشر فيها شبكات تهريب الآثار.

"كانت عمليات التنقيب والسرقة في الماضي تتم بشكل سري وتهرب الأثار من خلال وسطاء إلى تركيا أو لبنان، واليوم تحول الوسطاء إلى تجار وأصبح التنقيب علناً وفي ضوء النهار وبحماية مجموعات مسلحة" كما يقول أحمد العلي - 32 عاماً وهو من سكان قرية سرمدا في ريف مدينة إدلب.

ويضيف "بأن عمليات التنقيب أصبحت مهنة الكثيرين من أبناء المنطقة بحثاً عن الذهب أو الحلي والفسيفساء وهناك أسواق خاصة بها معروفة لدى الجميع هنا حيث تباع اللقى بأسعار زهيدة جدا لدرجة أنك تستطيع رؤية بعض العملات القديمة مكومة في علب بلاستيكية وكأنها عديمة القيمة وتباع بالجملة أحيانا".

"أبو علي" ناشط من مدينة سراقب المتاخمة لتل مرديخ الأثري (مملكة ايبلا) والتي تضم مكتبة إيبلا التاريخية، يؤكد على "أن الكثير من أبناء المنطقة أصبحوا يعملون في التنقيب وبشكل عشوائي وباستخدام الآليات الكبيرة (تراكس، باغر) وبحماية من مجموعات مسلحة، ويتم ترحيل وتسليم الموجودات بشكل علني".

ويحذر بعض الناشطين والمهتمين بحماية الأثار السورية " من أن هناك مجموعات منظمة جاء أفرادها إلى سوريا تحت عناوين مختلفة منها المساعدة في قتال النظام تبين لاحقاً أنها مجموعات لسرقة الأثار، حيث تقوم هذه المجموعات بتشغيل أبناء المناطق التي تنتشر فيها الآثار مستغلين حاجتهم للمال ومعرفتهم بمناطق وجود المقتنيات الأثرية".

"بدر موسى" ناشط إغاثي في مخيم "أطمة" للاجئين على الحدود التركية يتحدث عن عشرات الأطفال والنساء والرجال، من الموجودين في المخيم تراهم يتسلقون التلال ويجولون الوديان بحثاً عن الآثار واللقى من مختلف الأنواع، تشعر بأن هذا العمل أصبح مصدر دخل مهم لهم".

ما تمر به البلاد من دمار وفوضى طالت تاريخها وحاضرها ومستقبلها، وما أحدثه الصراع من متغيرات في أوضاع الناس الاقتصادية والإنسانية بكل تفاصيلها، والتغيرات في القيم وطرق التفكير عند المواطن الذي تعرض إلى القتل والاعتقال والتهجير وكل أنواع العوز والحاجة واستغلال البعض لهذه الحاجات، دفعت بالكثير من الناس إلى العمل في مهن كان يرفضها سابقاً.

تجارة الكهرباء مهنة جديدة في الظلام السوري

■ الرقة - فهد الزرعي

مع استمرار الحرب في سوريا واجه السوريين الكثير من المشكلات الخدمية أبرزها مشكلات انقطاع التيار الكهربائي بشكل مؤقت ولفترات طويلة أو بشكل دائم.

حاول السوريين التغلب على هذه المشكلة بوسائل متعددة بدءاً من لمبة الكاز، مروراً بمولدات البنزين الصغيرة، وبطاريات السيارات إلى أن وصل لمحركات الديزل الكبيرة (الأمبيرات) التي أصبحت مهنة لها أصول وقواعد وآداب، أي غدت محكومة بنظام كباقي المهن.

يتحدث أبو ريان 40 سنة من مدينة منج، وهو أحد المشتغلين في هذه المهنة عن بداياته في هذه المهنة: «بدأت الفكرة من أمر بسيط، فقد اشتريت مولدة ديزل لمحلي الصغير، وغذيت محلات جيراني، فوجدت الأمر مربحاً، فاشتريت مولدة كبيرة غذيت من خلالها معظم السوق من خلال شبكة كهربائية مستقلة».

«وقد حققت هذه المهنة خدمتين، عملاً ودخلاً محترماً للقائمين عليها، وخدمة للمواطنين الذين بقوا على اتصال بشيء من الحضارة البشرية» بحسب أبو ريان.

وانتشرت «مهنة الأمبيرات» في معظم المناطق السورية سواء كانت محررة أو خاضعة لسيطرة النظام، وتختلف الصعوبات التي تواجه هذه المهنة من منطقة لأخرى، فالمشاكل في مناطق النظام تختلف في المناطق المحررة، ففي مناطق النظام تواجهك مشاكل أمنية بدءاً من الموافقة الأمنية وليس انتهاء بمشاركة الأمن لك بشكل مباشر أو غير مباشر.

يقول السيد ص ف والذي يستثمر مولدة كهربائية في حي الحمدانية بمدينة حلب « دفعت مبلغاً كبيراً من أجل الموافقة على موقع المولدة وتشغيلها، واضطررت لمشاركة أحد ضباط الأمن بنسبة من المردود المالي للمولدة حتى لا يضايقني أحد».

ويضيف «لم يقتصر الأمر على دفع مبلغ للضابط فقط، إنما توجب عليّ تغذية حاجز الأمن وبيوت مني بالكهرباء مجاناً».

أما عن الصعوبات التي يواجهها أصحاب المولدات الكهربائية في المناطق المحررة يقول أبو ريان «أبرز الصعوبات تتمثل في نوعية المازوت السيئة، فالمازوت غير نظامي، وأحياناً تأتي دفعات سيئة جداً تؤثر على عمل المولدة، مما يتسبب بأعطال كثيرة تسبب لنا أحياناً خسارات، ناهيك عن تذبذب سعر المحروقات».

وتهون هذه الصعوبة أمام المخاطر الكبرى التي تواجه المستثمرين، يستدرك «أبو ريان» بلهجة غضب «تعد الصعوبات أمراً هيناً أمام خطر البراميل، فقد خسرت مولدة بقيمة 8 آلاف دولار، ناهيك عن تضرر الشبكة الممدودة بشكل شبه كامل».

وتشير دراسة سورية إلى أن عدد المولدات الكهربائية التي دخلت إلى سوريا خلال العامين الماضيين يتجاوز مليون مولد (بين مولد صغير منزلي ومولد كبير للخدمة العامة). كما تشير الدراسة أن قيمة المولدات التي بيعت خلال تلك الفترة تصل إلى 345 مليون دولار.

عاد العمل في مهنة «بيع الكهرباء» على المشتغلين بها، بأرباح طائلة خاصة للذين استثمروا العمل في مولدات كبيرة.

وعن ما يجنيه أبو ريان من عمله يقول «لا يمكن أن أعطيك رقماً محدداً، فالأرباح ترتبط بأربعة أمور: سعر المازوت (الديزل) عدد المشتركين، حجم المولدة (قدرتها الإنتاجية) سلامتها من الأعطال».

«إذا سارت الأمور الأربعة على ما يرام فإن الأرباح تقدر بـ 50 ٪ من الاشتراكات، فإذا كانت المولدة تنتج 500 أمبير فإن الأرباح لا تقل عن 350 ألف ليرة شهرياً» بحسب أبو ريان.

ويضيف «لا ينسى العامل الأمني الذي أدى لخسارة كثير من المستثمرين، فقد مدّ كثير من المستثمرين شبكات واشترى مولدات عملت شهراً أو أكثر، ليجد أهل البلدة أو المدينة وقد نزحوا نتيجة القصف، أو التطورات العسكرية على الأرض، أما الأرباح في مناطق النظام فتصل إلى 70٪ وأكثر، ويعود ذلك لتوفر المازوت النظامي، ولارتفاع سعر الأمبير».

لا تخضع الأمبيرات لتسعيرة موحدة، فتلعب المنافسة والعرف دوراً في تحديد الأسعار، ففي المناطق المحررة يتراوح سعر الأمبير بين 400 إلى 500 ل س بالأسبوع، في حين يرتفع في المناطقة الخاضعة لسيطرة النظام ليصل بين 700 إلى ألف ل س بالأسبوع، ومعظم الأمبيرات تعمل يومياً من 10 إلى 12 ساعة في اليوم، فمعظمها لا يعمل بعد الواحدة ليلاً.

وعن نسبة المشتركين يقول أبو ريان «معظم الأهالي في منبج تقريباً مشترك؛ فمنهم من اشترك بأمبير، والغالبية اشترك بأمبيرين، وهناك من اشترك بأكثر».

ويعلل سبب اشتراك الغالبية بأمبيرين «الأمبير الواحد يكفي لتشغيل التلفاز، وعدة لمبات إنارة توفير 40 فولط، أما الأمبيرين فيكفيان إضافة لما سبق تشغيل الثلاجة أو الغسالة العادية أو الآلات الكهربائية التي لا تصدر حرارة».

أما عن آلية التوزيع، والمشاكل مع الأهالي فيوضح أبو ريان «لا يوجد أية مشاكل فلكل مشترك قاطع خاص به يتناسب مع كمية الاستجرار المشترك بها، وعند استجراره كمية أكبر من المشترك بها يفصل القاطع تلقائياً».

لاجئون من كوباني على الحدود مع تركيا | AB

بيضة القبان

■ خالد قنوت

من حق كل مواطن امريكي أن يفخر بوجود رئيس للولايات المتحدة الامريكية كما هو باراك حسين أوباما ومجموعة القيادة العاملة معه، حيث يخوض حربين كبيرتين دون أن يقحم قواته العسكرية بشكل مباشر وخاصة القوات البرية ودون أن يعرض المقاتلين الأمريكيين للقتل أو الاسر كما هي كل الحروب ويحرز النجاحات الباهرة مستفيداً من تجربة حرب جورج بوش الأب في تفكيك الاتحاد السوفيتي في نهاية الثمانينيات من القرن الماضي ليقف بعدها جورج بوش أمام اعضاء مجلس الشيوخ والكونغرس وقائلاً لهم:(أنتم زعماء العالم).

باراك حسين أوباما يخوض حربين استراتيجيتين:

الحرب الأولى التي كسب فيها دولة كبرى هي أوكرانيا خاصرة روسيا، الطامحة لإمبراطورية بوتينية، لكن الخسارة الكبرى لها في أوكرانيا مقابل جزيرة القرم الروسية الأصل، قوضت أحلام زعيم المافيا الروسية كثيراً.

الحرب الثانية هي تمكين الولايات المتحدة من ربط كامل دول منطقة الشرق الأوسط بسياستها مباشرةً، حيث كانت سورية هي الأخيرة، فقد عملت الولايات المتحدة الأمريكية واستطاعت على مدى ثلاثة سنوات ونصف من تحويل الثورة الشعبية السورية المطالبة بالحرية والكرامة وقيام نظام وطني حر يخرجها نهائياً من الدور الذي كان يتلاعب عليه نظام الأسد، الأب ثم الابن، في سياسة اللعب على التوازنات، إلى قضية أسلحة كيماوية وحرب أهلية طائفية وعملت على تهيئة الظروف وبطريقة توقع ردود أفعال النظام والمعارضة والتنظيمات المتطرفة وتوجيهها باتجاه خلق تنظيم إرهابي يقنع المواطن الأمريكي أولاً ثم العالم بحتمية التدخل العسكري في المنطقة.

في نفس الوقت، يتابع الرئيس باراك أوباما تحقيق وعوده الاقتصادية في بلده بعيداً عن خوض حروب تثقل كاهل الخزينة الامريكية وكاهل المواطن الأمريكي كما فعل الرئيس السابق جورج بوش الابن، فأوباما اليوم يختبر سلاحه الجوي الجديد (طائرة إف 22) ويستخدم ذخائر من المفروض أن تنسق بعد حين (صواريخ توماهوك) وهناك من يدفع فاتورة الخلاص من أسلحته من مال النفط الخليجي والعراقي.

من يعتقد أن الرئيس باراك حسين أوباما كان متردداً ومرتبكاً، فعليه أن يحلل الاحداث منذ قيام الثورة السورية وكيف أبعدت الولايات المتحدة الأمريكية كل الدول الأخرى وورطت الروس والايرانيين والتنظيمات التي يعتبرها إرهابية كالقاعدة وحزب الله اللبناني في حرب على الأراضي السورية وساهمت في تأجيج حرب طائفية سنية شيعية وتحكمت بمصادر تسليح الجيش السوري الحر لكي لا يحقق نصراً يؤدي لانهيار النظام الأسدي السريع وأفسحت المجال للتنظيمات القاعدية بالانتشار واستقطاب مؤيدين لها من أنحاء العالم للخلاص منهم وابتزت النظام الجبان بسحب معظم الترسانة الكيماوية التي يملكها ثم تعود لفرض واقع جديد على الأرض بفرض تحالف دولي لمحاربة الارهاب في سورية بفاتورة على بياض من دول الخليج وبزمن لا حدود له.

السوريون هم من يدفعون الثمن الغالي نتيجة لذلك ومن مصلحتهم أن يجدوا البراغماتية السياسية الضرورية للتعامل مع الواقع الجديد وليس الصدام المباشر لأنهم حتى هذه اللحظة هم الحلقة الأضعف، حالياً.

تسليمنا كسوريين بما ينفذ اليوم سيكون كارثة وطنية كبرى، ولنتعظ من دول مرت عليها السياسية الأمريكية فحولتها لدول فاشلة ولأنظمة مرتهنة بلا أي كرامة وطنية مهمتها الاساسية المحافظة على إيقاد الشروخ الاجتماعية بين مكونات شعوبها للمحافظة على بقائها وحماية الولايات المتحدة الأمريكية لها ولننظر للصومال وأفغانستان والعراق وغيرها. الولايات المتحدة الأمريكية دولة مؤسساتية تحكمها المصالح والشركات الاقتصادية وأمن إسرائيل وهي تعمل بكل جدية ومنطقية على هذا بغض النظر عن الضحايا وهي تجاهر بذلك وتعلم أن مسميات دول في العالم تحكمها نظم شمولية أو عائلية استبدادية ستلجأ لأمريكا دائماً وهذا ما عبر عنه الرئيس الأمريكي أوباما اليوم عندما قال: (سيأتون إلينا لأننا دولة عظمى وتملك من القوة ما يسمح لها بالنجاح بكل مهامها ولن يذهب أحد إلى روسيا أو الصين أبداً).

التطورات الدراماتيكية للأحداث سيفرض إقتلاع عائلة الأسد من الحكم في سورية ولكن لا تتوقعوا من البديل أن يكون ما كان يحلم به شهداء الثورة ومعتقليها ونازحيها بل سيكون استنساخاً للنظام العراقي أو الافغاني أو بأحسن الظروف للنظام اللبناني طالما لم يبادر السوريين لإنقاذ وطنهم.

أعتقد أنه من واجب كل سوري حر أن يفكر بذلك وبداية طريق خلاص سورية يبدأ بالتفكير الجدي بتوحيد الأهداف الوطنية وإيجاد البدائل الجامعة للعمل السياسي والعسكري الوطني في الداخل والتحرك المباشر لإسقاط النظام الأسدي لأنه بيضة القبان الذي بتكسيرها ستميل كفة الميزان للصالح الوطني وسنستعيد زمام المبادرة ويخرج السوريين من صمت قسري بسبب استهدافهم الدائم من الجو.

مفردات السياسة التركية

في الوضع الراهن

■ هاني سعد الدين

المشاهد الأخيرة التي ترد عن الحرب في سوريا تشبه إلى حدٍ بعيد تصوير بابلو بيكاسو للحرب الأهلية في جداريته الشهيرة "غيرونيكا" بحيث تختلط ملامح الجزار وأعضاؤه بملامح الضحية وأعضائها بحيث يصعب تمييز واحدهما عن الآخر، والنظام الذي يهدد مع كل طلعة صبح أنه يرفض التدخل في شؤونه الداخلية، ويرفض الاعتداء على السيادة الوطنية، أتم دورة كاملة زج فيها كل قوى الأرض في شؤونه الداخلية إلى أن وصل إلى قمتها «التدويل الأممي».

النظام الذي لم يبحث مرةً عن حل داخلي لأنه لم يعترف مرةً بوجود أزمةٍ داخلية، يهلل اليوم للتحالف الدولي ضد "داعش" على لسان وزير المصالحة الوطنية علي حيدر الذي أعلن عن رضى حكومته عن أداء التحالف، حتى أن الوقاحة بلغت بإعلام النظام أن صرح بأن باراك أوباما جندي في جيش الأسد المحارب للإرهاب.

وبعيداً عن حسابات النظام ولهاثه لاسترداد شرعيةٍ على أشلاء السوريين بحجة محاربة الإرهاب، متناسياً أن طاحونة القمع والقتل العبثية التي أدارها منذ بدايات الثورة، كفيلة باستجلاب إرهابيي الأرض للقتال في سوريا، ومتناسياً أن كل برميل أو قذيفة مدفعية تطلق على حلب أو الرقة أوَ أي أرض سورية تقتل مدنياً وتخلق العشرات من الإرهابيين والتكفيريين، يبرز الدور أو العامل التركي في المنطقة، تركيا التي استدعاها النظام منذ الأيام الأولى للثورة ولوح لها بالمضمر، بأنها أجدر من يلعب دور الوسيط في الأزمة السورية، ووعدها بأدوار وتنازلات، وأخلف الوعود، ظناً منه أن دور الوسيط إنما التغطية على أعمال القمع، تشكل اليوم التفصيل الأبرز والذي يوازي عند نظام الأسد معظم تركيبة التحالف الدولي وعملياته الجوية.

يهلل النظام للتحالف وفي الوقت عينه يعتبر أي تحركٍ تركي عدواناً موصوفاً على أراضيه، نظام الأسد يعرف أكثر من الجميع معنى قرار أنقرة بالتحرك، وصولاً إلى اقتناعه، بأن الائتلاف الدولي الذي يقاتل "داعش" سيكون المظلة الجوية والسياسية للموقف التركي القائل بأن سقوط حكم الأسد هو بداية الحرب الفعلية على الإرهاب، وأبرز شروط نجاحها.

في ملفنا اليوم وبينما رايات "داعش" تخفق على أطراف عين العرب "كوباني" اللصيقة بالجار اللدود قراءة لمفردات السياسة التركية في الوقت الحاضر، عن "داعش" وسليمان شاه والحظر الجوي والمسألة الكردية.

عن "داعش" وتركيا

مع عسكرة الثورة السورية وطوال الأعوام الثلاثة الماضية، مارست تركيا سياسة الدعم والتسليح وتمرير المال القطري وغض الطرف عن نشاط المقاتلين الأجانب على حدودها والسماح لهم بالدخول والخروج من دون أي قيود أو اعتراضات، بالإضافة إلى تحويل المعابر الحدودية إلى مستودعات أسلحة ضخمة مثل معبر باب الهوى الذي كانت تصل اليه شحنات الأسلحة من ليبيا وأوكرانيا عبر الأراضي التركية، وتشير بعض التقارير التركية إلى وجود قرابة ثلاثة آلاف تركي منخرطين في تنظيم "داعش" وحده حسب صحيفة ملليت التركية، بينما تشير تقارير أكثر حيادية بأن عددهم ألف مقاتل.

وقد استفاد تنظيم "داعش" من هذه الإجراءات التركية من دون أن يكون مقصوداً بذاته للاستفادة منها، حيث عمل في ظل التهاون الحكومي التركي، على تشكيل شبكات واسعة لتجنيد المقاتلين وتأمين عبورهم الحدود إلى مناطق سيطرته في سوريا، ولم تكن المخابرات التركية غافلة عن نشاط التنظيم، ولم تكن تمانع مثل هذه الأنشطة ما دامت تصب في خانة إسقاط النظام السوري ولا تسبب أي ضرر مباشر لأمنها ومصالحها، خصوصاً أن تنظيم "داعش" لم يظهر للعيان إلا في نيسان 2013، إلا أنه برز استخباراتياً قبل ذلك، فمعبر باب الهوى الحدودي سقط على يد "مجلس شورى المجاهدين" بقيادة محمد العبسي المنتمي لتنظيم "داعش".

مع مرور الوقت بدت العلاقة بين "داعش" وتركيا غامضة جداً، ففي أيلول عام 2013 قصفت المدفعية التركية مواقع للتنظيم وفي بداية عام 2014، قامت طائرات تركية بقصف رتل لـ"داعش" كان متوجهاً إلى بلدة الراعي الحدودية ودمرت عدة آليات منه، إلا أن التنظيم لم يرد ولم يشعل جبهةً مع الأتراك، بل على العكس تماماً، مع تصاعد قوة التنظيم وتعاظم نفوذه، سلمت تركيا بسيطرته على معبر جرابلس، وعقدت صفقة معه تتيح لها تبديل حرس ضريح سليمان شاه بشكل دوري، بل نُشرت صوراً للحرس التركي وهو يتنقل بحماية عناصر من تنظيم الدولة، فضلاً على أن النفط السوري استمر بالتدفق عبر الأراضي التركية لمصلحة "داعش"، حتى بعد اختطاف التنظيم للدبلوماسيين الأتراك في الموصل والذين أفرج عنهم لاحقاً في صفقةٍ غامضة.

وبالرغم من إدراج الحكومة التركية "داعش" و"النصرة"، إلا أنها انخرطت في تمويل التنظيم عبر عشرات الشاحنات التي تحمل النفط السوري تدخل إلى تركيا ويشتريها تجار أتراك، ولعل هذا ما دفع صحيفة "واشنطن بوست" إلى نشر تحقيق في 14 آب الماضي خلص إلى القول: إن الحكومة التركية بسطت السجاد الأحمر أمام تنظيم "داعش" وإن الريحانية تحولت إلى مركز تجاري لعناصره.

مازاد العلاقة غموضاً صمت تركيا على ممارسات التنظيم في مجالها الحيوي، فمنطقة شمال العراق بالكامل وتحديداً المناطق الكردية ذاتية الحكم شمالي وغربي الموصل، تتمتع بأهمية استراتيجية كبرى لأنقرة، فالنفط يضخ من تلك المناطق إلى تركيا عبر أنابيب ضخمة. وتعتبر المنطقة الكردية في شمال العراق ثاني أكبر مستورد للبضائع التركية بعد ألمانيا. كما أن تركيا تشعر بالارتباط مع التركمان الذين يعيشون في المنطقة والذين انتموا لفترة طويلة من الزمن للدولة العثمانية.

لكن وبالرغم مما سبق وفي اجتماع جدة الذي وضع أسس التفاهم على شكل التحالف الدولي والأدوار فيه، لم تقدم تركيا للتحالف سوى تسهيل انتقال السلاح والعتاد لقوات المعارضة التي تقاتل "داعش" والنظام عبر خطيّن؛ خط بطمان - أربيل وخط نصيبين - القامشلي، إضافةً إلى تعاون استخباراتي ولوجستي محدود، وصرح داوود أوغلوا بأن تركيا لن تشارك في أي تحالفات عسكرية أمنية، قبل أن ترى نهاية الطريق سواء في العراق لجهة مساراته السياسية بعد إبعاد المالكي ودحر "داعش"، وسواء في سوريا لجهة مصير بشار الأسد، وسواء بالنسبة إلى الأكراد وخصوصا بعد الدور المتقدم لقوات البشمركة وتدفق السلاح عليها.

اليوم مع تغول التنظيم ومحاصرته لمدينة عين عرب، اكتفت تركيا حتى الآن بمراقبة ما يحدث، بعد أن وضعت قواتها القريبة من المدينة في حال الاستنفار، وصرح رئيسها رجب طيب أردوغان بعدم السماح بسقوط عين العرب، إلا أنه على ما يبدو ينتظر تحقيق الشروط التي وضعها للمشاركة وعلى رأسها، أن يقطع الاكراد السوريون أي صلة لهم بالنظام، وأن يتراجعوا عن إعلان منطقة حكم ذاتي، وأن يساهم التحالف في إنشاء منطقة عازلة على الحدود التركية السورية.

أردوغان الذي حصل على تفويض من البرلمان التركي بدخول الأراضي السورية، يدرك أن واشنطن جادّة في إعادة رسم الخريطة السياسية للمشرق العربي، وأنّ الفرصة حانت ليشارك فيها بغية إنهاء المشكلة الكردية في بلاده على حساب سورية والعراق، فتركيا التي تعيش فوبيا القضية الكردية في الداخل والخارج وجدت نفسها مع إقليم كردي في شمال شرق سوريا يديره حزب الاتحاد الديمقراطي الكردي القريب من حزب العمال الكردستاني بزعامة عبد اللّه أوجلان المعتقل منذ نحو 15 عاماً، والذي الذي أكد في بيان من سجنه في جزيرة "ايمرالي" أنه إذا نجحت محاولات تنظيم "داعش" في الاستيلاء على المدينة وارتكاب مجزرة فيها فإنّ ذلك يعني انتهاء محادثات السلام مع تركيا ".

أردوغان هو الأكثر قدرة على محاربة التنظيم ومنعه من السيطرة على عين العرب، فبلاده تملك ترسانة قوية من الأسلحة الحديثة يمكنها إحداث دمار هائل في بنية "داعش" العسكرية وغير العسكرية، كما أن بين يديها معلومات استخباراتية عن قيادات "داعش" وعدد من أمرائه البارزين، بالإضافة لقدرتها على تضييق الخناق المالي واللوجستي على التنظيم، إلا أنه ليس مستعداً بعد لمهاجمة عين العرب، وحتى لو هاجمها فسيكون ذلك بالتنسيق مع "داعش"، كون عدوهما مشتركاً وهو وحدات حماية الشعب الكردي، حليفة النظام السوري في مقاومة المعارضة المسلحة، أو ربما من أجل تبرير إقامة المنطقة العازلة التي يريدها.

وعلى ما يبدو فإن أمريكا متواطئة مع أردوغان فيما يبغي، فأكراد سوريا وتركيا خارج المعادلة الأمريكية التي تهمها بالدرجة الأولى "كردستان" العراق إذ لها استثمارات ومصالح كبرى، هذه الاستثمارات هي من حرك آلتها العسكرية بعد توجه "داعش" نحو أربيل فقط، بينما سكتت على قتل السوريين كرداً وعرباً لسنوات.

تركيا تلعب أوراقاً خطيرة في المنطقة، فهي ستسكت عن "داعش" الذي يحلم بدويلةٍ سنية قد يقبل بها على محافظتي الأنبار ونينوى، بين تركيا والسعودية، فينشطر الهلال الشيعي، عدو تركيا التاريخي، وهنا تلتقي مع السعودية ما دام "العدو

مدخل ضريح سليمان شاه في ريف منبج بحلب

الشيعي" واحداً، كما أن تفجر الوضع في العراق وسورياً يدغدغ أحلام أنقرة باستعادة الموصل التي سلمتها للعراق في اتفاق العام 1926 مع بريطانيا والعراق، حينها صرح أتاتورك أنه عندما تمتلك تركيا القدرة على استعادتها فستفعل.

"داعش" من جهته ليس أسير الطموحات التركية، فهو ينسحب تكتيكياً من لقمةٍ جغرافية عصية على أن يبتلعها تنظيم يعد بالآلاف، وينقل القسم الأكبر من مقاتليه وأسلحته إلى غرب نهر دجلة، تحديداً إلى محافظات الحسكة والرقة ودير الزور السورية، ليحمي التنظيم ويحقق الهدف الأمريكي غير المعلن باحتواء "داعش" لا القضاء عليه، وإبقائه في شطر من العراق ما يجعل حكومتيّ بغداد وأربيل في حاجة مستدامة إلى واشنطن سياسياً وعسكرياً.

سليمان شاه

تركيا التي تلتزم السلبية حتى الآن بينما رايات "داعش" ترى بالعين المجردة عبر أراضيها تضع خطاً أحمر إذا ما تجاوزته "داعش"، فستدخل تركيا الحرب براً، وهو المساس بضريح سليمان شاه، ولعل الغالبية العظمى من السوريين لم تسمع بهذا الاسم قبل عام مضى، ولم يسمع أحد بأراضٍ تركية في ريف مدينة منبج.

وسليمان شاه هو والد أرطغرل والد عثمان الأول مؤسس الدولة العثمانية سنة 1299، وتمتزج القصة الحقيقية بالأسطورة في روايات موت سليمان شاه حيث يشك عدد من المؤرخين في الروايات الرسمية عن ضريح شاه قائلين إنها ربما لُفقت لاحقاً لإثراء هوية تركية امبراطورية ثم هوية وطنية.

فبينما يذكر كتاب "ديوان لغات الترك" للشيخ محمود الكاشغري المؤلف عام 1074، وكتاب "تاريخ أتراك الأوغوز" للمؤرخ التركي فاروق سومر، أنه توفي عام 1219 مع اثنين من جنده، أثناء محاولته عبور نهر الفرات، حيث كان في طريقه باتجاه الأناضول، قادماً من أواسط آسيا، تشير مصادر أخرى إلى أن وفاته كانت عام 1227 غرقاً أثناء فراره عبر نهر الفرات من الغزو المغولي، وتم دفنه بالقرب من المكان المسمى حالياً "ترك مزاري" في قلعة جعبر بسوريا.

والمستغرب أن تركيا الكمالية التي قامت على أساس قطع كل الصلات بالماضي العثماني أصرت على اعتبار ضريح مؤسس الدولة العثمانية أرضاً تركية، حيث نصت اتفاقية أنقرة التي أبرمت بين مجلس الأمة التركي والحكومة الفرنسية المنتدبة على سوريا، عام 1921، والتي أنهت الحرب بين الجانبين وأفضت إلى تبادل الأسرى، على أن منطقة ضريح "سليمان شاه"، الذي كان في قلعة جعبر قبل أن تغمر بمياه بحيرة الثورة نتيجة إقامة سد الفرات عام 1973، هي أرض تركية. وبعد إتمام بناء سد الفرات، طلبت الحكومة السورية من نظيرتها التركية، نقل الضريح إلى تركيا أو أي مكان آخر، خشية انغماره بمياه السد، فاتفق الجانبان، على نقل الضريح والرفات إلى منطقة تقع على ضفة نهر الفرات، بالقرب من قرية "قره قوزاق"، على الطريق التي تربط محافظة حلب بمحافظة الحسكة السورية.

وفي عام 2003 أبرمت اتفاقية ثانية بين الحكومتين وقعت في العاصمة التركية أنقرة، إذ اتفق الجانبان على تحديد مساحة الضريح ومحيطه بـ 10096متر مربع، وقيام تركيا بإعادة ترميم الضريح والمخفر وفتح الضريح أمام الزوار، ويعتبر الضريح، هو الأرض الوحيدة ذات السيادة التركية خارج حدود الدولة، يسهر على حمايتها جنود أتراك، يتم تأمين تبديل ورديّاتهم عبر حوّامة تركية بشكل شهري.

وفي عام 2010 بني مركز شرطة سوري إلى جانب موقع الضريح وقررت اللجنة المشتركة لبرنامج التعاون السوري التركي وضع لوحات وشاخصات دلالة للموقع وصيانة الطريق المؤدية للضريح باعتباره مقصداً سياحياً للزوار الأتراك وخلال زيارة الرئيس التركي عبدالله غول إلى حلب زار وفد رسمي تركي الضريح وقرر إقامة أعمال صيانة وترميم فيه وحالياً يعتبر هذا المزار، الأرض الوحيدة ذات السيادة التركية خارج حدود الدولة. يسهر على حماية المزار جنود أتراك.

الحظر الجوي

آخر مفردات الخطاب التركي في ملفنا اليوم هو الحظر الجوي، الذي تطالب به تركيا في محاولة لاقتطاع منطقة عازلة في شمال شرقي بغية ضرب أكرادها ومنعهم من إقامة حكم ذاتي في محافظة الحسكة مخافة أن تنتقل عدواه إلى منطقة ديار بكر التركية المجاورة، بالإضافة لإيجاد ملجأ آمن للمعارضة السورية المسلحة في وجه النظام.

قالت صحيفة "نيويورك تايمز" إن واشنطن لم تستبعد تأسيس منطقة حظر طيران فوق المنطقة الشمالية الشرقية من سوريا لحماية المدنيين من الغارات الجوية للنظام السوري، ونقلت الصحيفة عن وزير الدفاع الأميركي تشاك هيغل "إن بلاده تنظر في طلب الرئيس التركي رجب طيب أردوغان في إنشاء منطقة عازلة على طول الحدود السورية التركية حيث يلجأ عشرات الآلاف من اللاجئين السوريين".

وكانت صحيفة "الحياة" اللندنية، سبق وأن نقلت عن مصادر لم تحددها أن إدارة الرئيس أوباما تبحث مع الشركاء الاقليميين والأوروبيين في فكرة اقامة منطقة حظر جوي جزئي في سوريا ضمن لائحة خيارات للتعاطي مع تنظيم "الدولة الاسلامية".

ومنطقة حظر الطيران أو الحظر الجوي يمنع فيها تحليق الطائرات في أجواء منطقة معينة قد تشمل دولة ما، ويكون ذلك استنادا إلى قرار من مجلس الأمن الدولي، لكن بعض الدول اتخذت قرارات فردية بحظر الطيران كما حدث في العراق أوائل تسعينيات القرن الماضي، فبعد عمليّة "عاصفة الصحراء" عام 1991، قامت كل من الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا وفرنسا، بفرض منطقتين للحظر الجوّي فوق الأجواء العراقية، لحماية المناطق الكرديّة في الشمال، والمناطق الشيعيّة في الجنوب.

ويتطلب فرض الحظر الجوي إقامة دوريات على مدار الساعة فوق المجال الجوي للدولة المستهدفة، وتدمير كل وسائط الدفاع الجوي المعادية، وتوجيه ضربات جوية وصاروخية ومدفعية لوسائط الدفاع الجوي، بكل أنواعها والوسائط اللاسلكية الفنية، وتوجيه ضربات جوية وصاروخية ومدفعية لكافة القواعد الجوية وتدمير الطائرات الجاثمة على أرض المطارات وتدمير مدارج الإقلاع.

في الختام تلعب تركيا كل أوراقها للحفاظ على مصالحها الإقليمية، بينما تعيش المعارضة السورية حلماً مفاده أن تركيا ستعطيهم ما فشلت الولايات المتحدة الأمريكية بإعطائه، من حظر جوي واحتلال للبر السوري وصولاً لإسقاط النظام بينما يقف السوريون أصحاب الثورة موقف المتفرج الحائر، فهم مطالبون بدفع دماءهم وأرواحهم ثمناً لمحاربة "داعش" بينما الإرهابي الأصيل قابعٌ في قصره في دمشق، يقامر بأرواحهم في لعبة الأمم.

نبلاء انتهازيون أنانيون هاربون وصامدون
فنانو سوريا التشكيليون "8"

■ دمشق – حمزة السيد

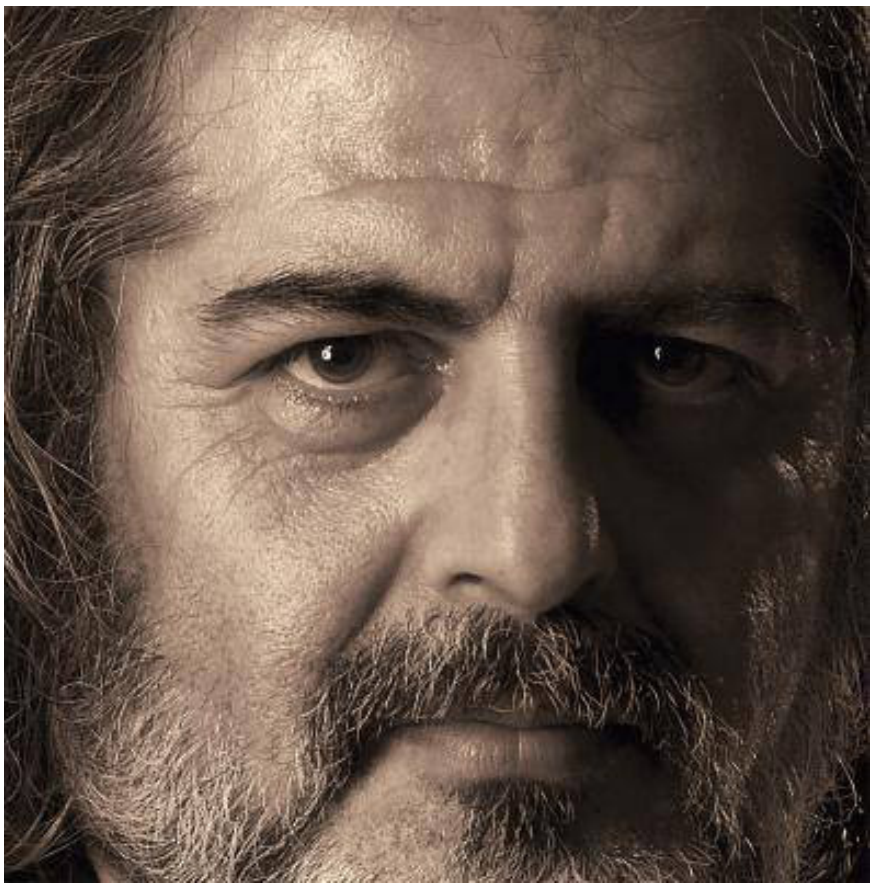

المواطن الدكتاتور

لا يمتلك سمات وجه تجعل أي عدسة تحبه فقط بل له صوت نادر العمق، ومع أن حرف السين قد لا يبدو صافي التدفق حين يتحدث، إلا أن الحضور الشخصي لأحمد معلا، أمر لا يمكن إنكاره، حضور قد يطغى على اللوحة، وكأن معلا تبادل الدور معها ليبقى هو البطل والامتداد لها، ولتنزوي هي لتكون مجرد ذكرى من رجل في شخصه كل تناقضات الدنيا، لكنه رجل عصر قادر على نسج العلاقات وتنظيمها والاستفادة منها بمقدرة رجل أعمال أو ضابط مخابرات أو سمسار كبير، يقولون عنه في دمشق إنه حاول التقدم بطلب لجوء إلى فرنسا التي درس فيها، لكنها ذات الثرثرة التي تلاحقه منذ سنوات في دمشق.

حين افتتح معلا في دمشق "1997" في صالة أتاسي، معرضه الجديد، صدم الفنان المتعلق جداً بالمسرح زواره، بعضهم شعر بالرعب من جو الصالة التي بدلها معلا كلياً، حتى أن إحدى الزائرات غادرت الصالة حين دخلت من بابها فقط، إضاءة خافتة، موسيقى غير مألوفة، لوحات يتناوب فيها الأبيض والأسود تحاكي وتحيي سعد الله ونوس، وحصى وحجارة ورمل في أرض الصالة، رغب معلا آن ذاك أن يُمسرح الصالة، ويحقق الصدمة، ويقدم عرضاً براقاً وغير مألوفاً لجمهوره، فنجح في الثلاثة، ودعمها بخفة حضوره حين يريد له أن يكون خفيفاً.

في عام ألفين وأربعة، قدم معلا واحداً من أهم أعماله المسرحية كسنغرافي، مسرحية "ألواح اوغاريت"، التي عرضت بشكل خاص ومولتها وزارة المغتربين التي كانت منفصلة عن وزارة الخارجية، المسرحية عُرضت ليوم واحد لمجموعة من المغتربين السوريين الذين كانت الحكومة قد نظمت لهم مؤتمراً خاصاً كي يجلبوا استثماراتهم إلى الداخل السوري، حينها أقيم لهم حفل خاص في نهاية المؤتمر، وعرضت على رجال الأعمال المسرحية الغنائية التي تسرد قصة بعل وأيل، ووقعت باسمي أحمد معلا والموسيقار عابد عازية.

في كواليس العمل المسرحي الذي عرض في قصر الأمويين للمؤتمرات على طريق المطار، ولم يغطه الإعلام أبداً، كان معلا يبني عالماً من الكرتون المقوى ويرفعه ليكون عرشاً لأيل، أو جداراً لأوغاريت، يحفر عليه شكلاً قديماً ويترك للضوء أن يجعله أكثر اكتمالاً، يبني الكتل من الكرتون ببراعة يحاول أن ينقلها لمجموعة من العمال والطلاب في مشغل خاص في مدينة المعارض الجديدة القريبة من القصر، في المشغل، كان معلا دكتاتوراً لا يقبل أي همس حتى بين عماله وطلابه الذي يفضلهم عمال، دائم الصراخ والشتم، لا يعجبه أي عمل مهما كان محترفاً، يحطم أي كتلة دام العمل فيها لأيام لأنها لم تُنفذ وفق المقاسات التي أشار إليها فظهرت أقل بسنتيمتر واحد، فيشتم العامل، الذي يقف أمامه بلا حراك أو نطق، ويكرر معلا الذي لا يُنادي بين عماله إلا بالدكتور، بأنه لم يطلب من أحد أن يفكر بل أن ينفذ فقط، بين العمال في تلك القاعة الفسيحة كان "علي" شقيق معلا ويُعامل بذات الطريقة، وإن كان معلا يعتمد عليه أولاً في تنفيذ العمل الذي لا يقربه معلا بيديه إلا فيما ندر وحين يكون مزاجه في أحسن حالاته.

في القصر وأثناء نقل الديكور إلى المسرح كان معلا بارعاً في إقناع ضباط من رتب عالية بكل ما يريد، كان يرافقهم ويتبادل معهم النكات، هؤلاء لم يكونوا أكثر من موظفين إداريين برتب عسكرية وببذات لا يرتدون غيرها، كان يعنيهم ما قالوا إنه الأمن في داخل قصر المؤتمرات، وكانوا يعقدون دخول فريق معلا إلى المسرح، الفريق الذي قضى سبعة أيام بلياليها في المسرح ينصب الديكور ويجهز الإضاءة، الأمر الذي اغضب الضباط، معلا كان يمازحهم ويحصل منهم على ما يريد حتى حين يقرر أن يغير في أثاث المسرح وتجهيزاته، فيثقب أي جدار ويزيح الأعمدة التي من المفترض أنها دائمة، وحين يتركهم كان يطالهم بالشتم ويصفهم بالأغبياء، حين جهز معلا عربة أيل بشكل نهائي، رفعها على عجلات أربع، كانت كتلتها ترتفع إلى ثلاثة أمتار كي تليق بدخول كبير الآلهة وظهوره الأول، زُخرفت وهي على شكل صندوق مستطيل لا جدار رابع له، برسومات نُسخت من لوحات أثرية أوغاريتية، وهيئ لها أربعة راقصين من طلاب المعهد العالي للفنون المسرحية ارتدوا بعضاً من قماش مقصب كي يدخلون بالآلهة إلى المسرح، حين تمت تماماً امتطاها معلا بنفسه، ودخل بها مع عماله إلى المسرح، طبعاً لم يكن هناك جمهور، لكن معلا دخل وهو يصرخ ببعض من شعره ونثره، وصرخ: "أنا اللّه".

لن تجد فناناً يحتوي منزله على عدد أجهزة الكمبيوتر التي يحتويها منزل معلا، هو من قلة قليلة من الفنانين البارعين باستخدام تقنية الحاسوب في كل عمله، يعامل برامج التصميم والغرافيك ببراعة عالية وكأنها ريشة في يده، فأنجز عددا كبيراً من التصاميم لصالح مختلف المؤسسات والوزارات، ووصل سعر شعار "لوغو" صغير صممه لمطعم "سواري" في اللاذقية إلى مليون ليرة سورية، فيما أهدى بعض الأعمال بأسعار رمزية لمؤسسة السينما ومديرية المسارح، كان يجيد العمل على برامج يعجز الشبان عن إتقانها، فيما تحتوي مكتبته الموسيقية آلافاً من الاسطوانات المدمجة لمختلف أنواع الموسيقى، فهو يقول أنه يسمع كل شيء، وافتخر مرة بأنه هو من اظهر المطرب الشعبي الأكثر شهرة في سوريا، علي الديك، إذ قال بأنه قام بالتوصية به في مهرجان المحبة، ومن بعدها نال ما ناله من شهرة، ذات التوصية قدمها معلا

لأحد النحاتين الشباب في مسابقة ملتقى مدينة المعارض، كان معلا عضو لجنة تحكيم مهمتها اختيار الإعمال التي ستُنفذ في الملتقى، معلا أختار عمل الشاب دون غيره رغم مستواه المتوسط، وكذلك فعل كل أعضاء لجنة التحكيم.

جال احمد معلا العالم بلوحاته وتصاميمه، لكن ما أنجزه عام 2004 بالشراكة مع د. حسان عباس في معهد غوتة بدمشق، كان الأهم من حيث تعدد النشاطات، فالرجلان أنجزا معرضاً وكتاباً عن المواطنة في سوريا، كتب عباس ونحت معلا، وكان المعرض الذي لم يفهمه آن ذلك كثير من الزوار، أو لم يكن كثيرون منهم قد سمعوا بتعبير مواطنة وما يعنيه وإلى ما يدل، فجالوا بين الأعمال يبتعدون ويقتربون، يخفضون أجسادهم كما لو أنهم أمام عملي نصبي يحتاج لكل الجسد كي يدرك، ورغم أن معلا لم يكن نحاتاً إلا أنه وكفنان يعتبر نفسه في كل مكان، قدم كتلاً صغيرة لم تغادرها حالته الصلصالية، تشرح أفكاراً عامة ونقاط أساسية عن مفاهيم المواطنة، عجز الزوار عن فهم شيء فقرؤوا كتيب صغير رافق المعرض.

في لوحة معلا نزق حاد، وكثير من المسرح والسينغرافيا، تشاهد الإضاءة واضحة وكأنها نصبت مقابل القماش، الشخوص ترقص وتتموضع على خشبة، تؤدي دورها بدقة، فيما لا تبذل الريشة جهداً في تحديد الخطوط، في مرحلة لاحقة من هذا العام "2014"، ظهر بطل واحد في لوحاتها وهو أمر طالما غاب عنها، بكثير من الرماديات بعد فترة ملونة في ما خلا "2010" وإن كانت لوحة معلا تستحق التوقف، إلا أن الهالة الكبيرة التي يحيط معلا نفسه بها تجعل من لوحته أقل أهمية مما هو متوقع، فسحر الملون أكثر إشراقاً من لوحته، والملون هنا ميزة نادرة في سوريا وإن كانت تعد أقل قدراً من التشكيلي في تاريخ الفن، لكن من السابق لأوانه الحكم على إنجازات معلا الآن.

في الثورة، تجسد موقف معلا مقيماً في سوريا ما استطاع، فصاحب العلاقات القوية مع مختلف الأجهزة الحكومية اقترح في بداية عام 2011، أن تنقل المظاهرات إلى التلفاز عبر ندوات مباشرة يقال فيها كل شيء، وكأبرز العلمانيين في البلاد، اتخذ معلا لاحقاً موقفاً معارضاً لما اعتبره مدّ إسلامي يجتاح البلاد، لم يتخذ موقفاً واضحاً مع السلطة والنظام، لكنه في المقابل لم يتخذ موقفاً واضحاً مع الثورة، بقي في مرسمه ومنزله في قرى الأسد، المرسم الذي زاره أدونيس وكتب عن تلك الزيارة تحت عنوان "محيط الغوايات" وكأن معلا كان يغار من سبهان آدم الذي كان قد كتب عنه أدونيس قبل سنوات، احتفل معلا بالمادة التي نشرها أدونيس والتي لم تكن بالمجان.

من مفارقات معلا، أنه أنجز تصاميم خاصة بمهرجان الوفاء للباسل "بطولة فروسية تحتفي بباسل الأسد" لسنوات عدة، فيما صمم أيضاً ملصقات كثيرة عن حقوق الإنسان، وشجع المجتمع المدني، حتى أنه أفرد حديثاً إذاعياً كاملاً في عام 2009، ليتحدث عن دور المجتمع المدني في حضارة الشعوب، كما صمم معلا ملصقاً خاصاً لزيارة الموسيقار مالك جندلي لمدينة حمص 2007.

سيناريوهات للذاكرة

■ كنان خداج

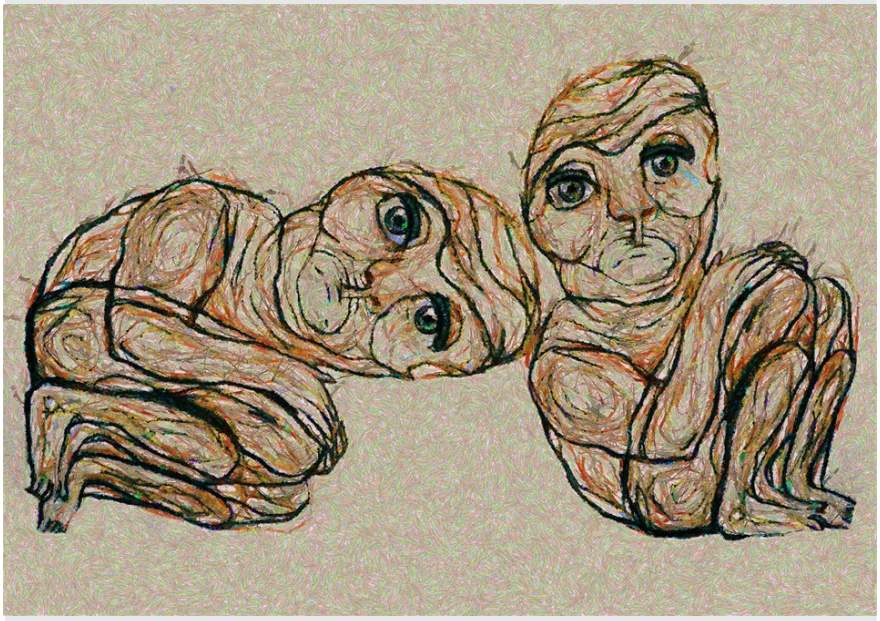

أرواح خائفة | وسام الجزائري

سيناريو أول:

لماذا كان عليَّ أنْ أتذكرَ في هذه اللحظة بالذات، آهٍ لو أنني تأخرتُ دقيقةً أو اثنتين، أو لو أنني تذكرتُ بعدَ ربع ساعةٍ أو نصف، لربما اختلفتْ حياتي جذرياً، وحققتُ كلَّ ما حلمتُ به طوالَ سنين، أو لو أنني لم أنسى من الأساس، يا لهذه المعاناة مع ذاكرتي!.

لطالما كانت ذاكرتي مصطنعة جداً ومخادعة، أحياناً أخلقُ من حلم ذاكرة وأحياناً العكس، آهٍ لو أنني أستطيع اقتلاع تلك التلافيف الغبية التي تزينُ مخي دون فائدة، « الدماغ البشري « يا لهُ من عضو مزعج!.

لطالما كنتُ غارقاً في حبٍّ جارتي، تلك الجميلة ذات العيون الزرقاء والشعر الأشقر الطويل الذي يتدلى إلى أسفل ظهرها، لم أكلمها يوماً ولم أبح لها بما يدور في قلبي، فلست سوى أجيراً أخرجُ إلى عملي في الصباح الباكر وأعود بعد غياب الشمس، الحب والزواج هو رفاهية كبرى بالنسبة لي، ثمّ لماذا ستحبني تلك الجميلة؟، لستُ غنياً أنا بالكاد أجمعُ ما يكفي لإطعامي أنا وأمي المريضة، لا أملكُ طلة « براد بيت « أو « توم كروز «، ولم أملك الطلاقة لأكلمها فلساني ليس إلا قطعة لحم غبية تنعقدُ كلّما رأيتُها، كم أنا أحمق، ثمّ لا شكّ أنَّ هنالك طوابيراً من العشاق ممن يملكون الشكل والجاه، ولا ينتظرونَ سوى إشارة من اصبعها الصغير..

لم أعرف اسمها كنتُ أطلقُ عليها العديد من الأسماء في مخيلتي، أحياناً أدعوها هيلين نسبة لفيلم طروادة، كنتُ أريد أن أسميها زهرة لكنّ الأزهار تموتُ دائماً قبل الأوان فأسميتها شجرة، ثمّ انتبهت إلى أنّه اسمٌ سمج، من يطلقُ اسم شجرة على حبيبته؟، فاكتفيت بإطلاق إسم الجميلة عليها.

البارحة كانت الفرصة أكثر من مناسبة لأكلمها، ولأعرف اسمها لولا تذكري في اللحظة القاتلة، فالبارحة سقطت قذيفة على البناية التي أعيشُ فيها، مما تسبب بإنهيار الأرضية الإسمنتية لغرفتي، على الفور سقطتُ لأجدَ نفسي في غرفتها، كأن القذيفة كانت هدية من السماء، لقد كان ذلك أجمل من حلم، جارتي الجميلة كانت تتعرى لدخول الحمام.

- ثمّ ماذا؟ أكمل! (صاحت ذاكرةٌ أخرى)

- في تلك اللحظة تذكرت..

- ماذا تذكرت؟

- تذكرتُ أن عليَّ أن أموت.

سيناريو ثان:

منذ نعومة أظافري وأنا أحلمُ بجاري، كنتُ أغافلُ أمي لأخرجَ إلى الشرفة وأراقبهُ وهو عائدٌ من عملهِ، كان يعود وآثار مواد البناء تزيّنُ وجههُ وشعره، وعيناهُ المتعبتان متسمرتانِ في أرض الشارع كأنّهُ أضاعَ قطعة نقود، لن أنسى عشقي لوجههُ الأسمر، وكان جسدهُ الثقيل يتمايلُ مع مشيته فيبدو كأنهُ مهرجٌ لم يحالفه الحظ باختيار جمهوره..

لم أكن أملكُ الجرأة لأكلّمهُ وأبوح لهُ بحبي، مراراً ومراراً انتظرته كي يغمزني أو يكلمني أو على الأقل يصيح لي باسمه من بعيد، أو أي شيء، لكنّه لم يبدي أي انفعال يا لهُ من أبله!.

إلاّ أنَّ البارحة اختلفَ كلُّ شيء، فقد سقطَ سطحُ غرفتي وسقطت معه هدية من السماء، كأنَّ السماء في تلك اللحظة أمطرت عليّ بمن أحب، ليس مجازاً، في نفس الوقت كنتُ أستعدُ لدخول الحمام وكنتُ شبهَ عارية، وكان الأمرُ كما حلمتُ دائماً الكهرباء مقطوعة وأخيلة أجسادنا العارية تتموجُ على ضوء الشمعة، ولا شيء سوانا أنا وهو وأحلامنا الصغيرة، احتضنني بقوة ثمّ..

- ثمّ ماذا؟ (صاحت ذاكرةٌ أخرى)

- نسيتُ الموت.

فائز سلامة 1895 – 1941

■ ياسر مرزوق

ولد فائز بن غسطين سلامة في بلدة قيتولة، في قضاء جزين جنوب لبنان عام 1895، وفيها تلقى علومه الابتدائية والثانوية، ثم تعلم اللغة الفرنسية في مدارس الإرساليات الكاثوليكية. وفي عام 1910 وعلى إثر موجة جفاف شديدة ضربت الجنوب هاجر إثنان من إخوته السبعة إلى نيويورك أما فائز فقد انتقل بعد وفاة والده، مع أمه وبقية إخوته إلى دمشق عام 1919، وحملوا جميعاً الجنسية السورية، لدى إحصاء السكان الذي أجرته سلطات الاحتلال الفرنسي عام 1923، وتجدر الإشارة إلى أن اسم فائز على الهوية السورية بات «محمد فايز أفندي ابن سلامة» وأنه مسلم وهو في الأصل مسيحي ماروني، ولم يرد في كتاباته وأشعاره اللاحقة سبب اعتناقه الإسلام هل عن قناعة أم عن شيء آخر.

عام 1921 تزوج سلامة من السيدة زكية البغدادي وانجب منها ابنتين، وبدأ في دمشق ممارسة العمل الصحفي، فعمل مترجمًا في عدد من الصحف، وفي عام 1925 أصدر جريدة «العالم»، ثم أصدر بعدها جريدة «الدفاع» التي بقيت تصدر حتى وفاته عام 1941.

عام 1926 انتسب إلى معهد الحقوق لمتابعة الدراسة الجامعية، إلا أن ظروفه المادية لم تتح له إكمال تعليمه ففصل من الجامعة بعد عامين لانقطاعه عن الدوام.

يقول سلامة عن فقر حاله:

جاء الشتاء ولا ثوب أرد به
برد الشتاء ولا فحم ولا حطب
وليس في غرفتي نار تدفئني
غير التي في ضلوعي كلها لهب
عجبت والله من نارٍ تلازمني
وليس يطفئها دمعي، وياعجب

ويمكن اعتبار سلامة آخر الشعراء الصعاليك الناقمين على الفساد والاستغلال، فعلى الرغم من أحواله المادية السيئة لم يحاول التقرب من الوجهاء أو الساسة، بل هجاهم أشد الهجاء وكان في مقدمتهم رئيس الجمهورية الشيخ «تاج الدين الحسني» والرئيس «محمد علي العابد»، حيث نظم في كل منهما وهو على سدة الحكم مجموعةً من القصائد بعنوان «الشاميات التاجيات» أو «المعلقات العشر» في هجاء الرئيس الحسني، و«العابدية – الجمهورية» في هجاء الرئيس العابد، والجدير بالذكر أن سلامة ورغم تعرضه بشكل دائم لمقام الرئاسة لم يتعرض للمضايقة أو المنع أو لإغلاق الصحيفة التي يصدرها.

قال عنه الباحث «جورج عيسى» في كتابه «فائز سلامة المعروف بشاعر الصعاليك»:

«إن فائز سلامة أحيا معنى الصعلكة القديم وأضفى عليه مفهوماً عصرياً صاغه من حياته وفكره وطباعه وسلوكه ومن الظروف الاجتماعية التي عاشها والأحوال السياسية والاقتصادية التي مرت بها بلادنا أيام الحكم العثماني والانتداب الفرنسي، وقد قاسى منها مثلما قاسى أبناء شعبنا ممن يشعرون بالظلم والاستعباد والتفاوت الطبقي وقد أحيا ظاهرة الشعراء والصعاليك ليمثلها بمفرده، فاختصر في شخصه وشعره تلك الدلالات الاجتماعية للصعلكة التي عرفت فيها خلال مئات السنين وعبر عصور مختلفة فأضفى عليها بعد انقطاع طويل طابعاً معيناً ونموذجاً متفرداً يقف عنده فلا يتكرر وليسجل في تاريخ الصعلكة الصفحة الأخيرة من رفض الواقع والتمرد العنيف وليخلف لنا شعرا هو آخر ديوان من دواوين الشعراء الصعاليك في أدبنا الحديث

يقول سلامة مفتخراً بانتمائه للشعراء الصعاليك:

نحن الصعاليك ما خارت عزائمنا
من سيف جنكيز أو من رمح جساس

لم ينتسب شاعرنا لحزب من الأحزاب إلا أنه كان من مؤيدي الكتلة الوطنية ورجالاتها ضد المستعمر الفرنسي وضد المتعاملين معه، من كبار التجار والوجهاء، الذي وصفهم بالخونة وتجار الوطنية، في قصيدةٍ خاطب بها الزعيم «ابراهيم هنانو»:

باسم القضية باعونا بلا ثمنٍ
وأحرزوا الراتب الشهري والرتبا
خبر أبا طارق دامت سلامته
في موضع الرأس منا ركبوا الذنبا
ماذا يريدون منا غير ما أخذوا
لا فضةً عندنا أبقوا ولا ذهبا
علام نجمد والنواب ما فتئت
على البلاد تجر الويل والحربا

قال له أحد جلسائه يوماً: «إننا نعجب منك، كيف أنت حلو اللسان، محتشم القول، ولكنك مر القلم، هجاء، هدام» فأجاب: «وهل من يلعن الشيطان، يدعى هجّاء».

وعن علاقته بالهجاء يقول:

هجوت زيداً بشعرٍ فالتوى غضباً
والله ليس هجاء النّاس من خلقي
هذي صفاتك لا زادت ولا نقصت
لكن تجلت بإيضاحٍ على الورق

رحل فائز سلامةً عام 1941 في دمشق سن مبكرة دون أن يرى رايات الاستقلال، بينما يذكر معجم البابطين أن وفاته كانت في مسقط رأسه «بلدة قيتولة»، رحل تاركاً مجموعة شعرية نشر ت في كتاب «فائز سلامة.. المعروف بشاعر الصعاليك»، وله قصائد نشرت في عدد من الصحف المحلية والعربية، منها: ألف باء، والأيام، والقبس، والجزيرة، والمضحك المبكي، والأردن، وعدداً من الكتب، أهمها «أعلام العرب في السياسة والأدب» قدم له شاعر الشام شفيق جبري، وهو من جزءين، ضم فيهما تراجم لحياة اثنين وثمانين شخصية سياسية وعلمية وأدبية، وديوان «التاجيات الشاميات» وكتاب «العابدية – الجمهورية» و«البستان فيه من كل فاكهةٍ زوجان» وهو عبارة عن مجموعة من المقالات السياسية والاجتماعية، التي سبق نشرها في جريدة «الدفاع».

قال في رثاءه الشاعر الكبير «أحمد الصافي النجفي»:

لك يا فائز بقلبي مآتم لم
تطق وصفها الدموع السواجم
كم أردت البكاء عليك ولكن
منعتني ذكراك والثغر باسم
لا يوفي شعري رثاءك يامن
كنت شعراً يفوق ما أنا ناظم

كما قال في رثاءه الأديب «نسيب الاختيار»:

هذا إنسان مات، كما تموت كل عبقريةٍ في هذه البلاد، وفي المقابر فحسب نعرف رجالنا، فحمداً وشكراً للموت، الذي لولاه لما عرفنا قدر عباقرتنا، دعوه يرقدُ هادئاً لأول مرةٍ، فقد كان يطل عليكم وفي القلَب عاصفةٌ، وفي الروح ثورة، ومن هذا فقد كان يستقبلكم، والثغر مفتر، والوجه طليق، كنتم ترون فيه ما ليس فيكم، لقد كانت دنياه غير دنياكم.

هذه السلسلة بالتعاون مع:

كلنا مواطنون
We are all Citizens

المواطنة والتميز الإيجابي

■إعداد المحامي فارس حسّان

المساواة السياسية والقانونية بين المواطنين هي بيت القصيد في الديمقراطية، إلا أن الديمقراطية لا تستدعي بالضرورة المساواة السياسية والقانونية بين المواطنين بالمعنى الفعلي، كون صيغة المواطنة المتساوية تسير في الاتجاه المعاكس لأصوليتين، أولهما الأصولية الإثنية أو الدينية التي تعرف شعوب المنطقة تعريفاً حصرياً بما هي جماعات مذهبية، دينية جهوية، قومية، وتعريف حقوقهم على هذا النحو، وهو لسان حال الخطاب الغربي للمنطقة.

وثانيهما الأصولية الديمقراطية، التي تفترض مواطنة متساوية تماماً، وهنا لابد للديمقراطية أن تقدم الجواب الصعب على معادلتها بذاتها أي « حكم الأكثرية وضمان حقوق الأقليات «، إذ لا تستوي المواطنة المتساوية دون التمييز الإيجابي لإزالة الحيف التاريخي بحق أقليات محرومة، أو لأجل تطمين أقليات جرى الحكم باسمها يسودها القلق على مصيرها بعد سقوط من يدعون الحكم باسمها، كمعاقبة السنة في العراق في ظل الاحتلال الأمريكي وبعده بتحميلهم مسؤولية حكم صدام حسين.

تعريف التميز الإيجابي

يطلق بعض الكتاب المصريين على مصطلح التميز الإيجابي مسمى « المساواة الرافعة « لرفع مستوى الضعفاء إلى مستوى الأقوياء، وهو يعني اعتماد مبدأ الأفضلية أو بآليات إنعاش ملائمة في التعامل مع للأقليات، وهي السياسات التي تأخذ بعوامل كالعرق واللون والدين والجنس والتوجه الجنسي أو الأصل في الاعتبار لكي تميز مجموعات مهمشة في التوظيف أو التعليم أو الأعمال، بعلة السعي لإصلاح التمييز الذي مورس ضدهم في السابق.

فمصطلح التمييز الايجابي يشير إلى عدد من الأساليب الرامية إلى مواجهة آثار التمييز في الماضي وللمساعدة في إلغاء الصور النمطية فهو عمل تقوم به الدولة أو مؤسسة خاصة لتعويض جماعة عن تمييز حصل في السابق على أسس اختلاف النوع، العرق، الأصول الاثنية، الدين أو العجز عن الدراسة، أو الوظيفة، أو المشاركة السياسية.

وينطلق مفهوم التمييز الايجابي من تحول مفهوم المساواة من المساواة في الفرص إلى المساواة في النتيجة، وبما أن التمييز الإيجابي أتى لمعالجة الغبن في الحقوق الذي طال عدة فئات، فقد اعتمد كأسلوب للقضاء على كل أوجه التمييز انطلاقاً من أن التمييز ضد التمييز هو عودة للأصل أي عدم التمييز وبالتالي تحقيق المساواة.

وقد ساهمت الحركات النسوية في بلورة المصطلح على اعتباره يفسح المجال أمام وضع آليات تهدف لسد الفجوة بين فئة اجتماعية وأخري من حيث التمتع بالحرية والحقوق المدنية والاقتصادية والاجتماعية ذلك أن بعض الفئات الاجتماعية تضررت بسبب العادات والتقاليد والقيم وأسكنت منزله دونية داخل المجتمع.

ظهر مصطلح «التمييز الإيجابي» لأول مرة في الولايات المتحدة في الأمر التنفيذي الذي وقعه الرئيس جون ف. كينيدي في 6 مارس 1961، وقد استخدم لتعزيز إجراءات تهدف لعدم التمييز. وفي عام 1965 قام الرئيس ليندون ب. جونسون بسن الأمر التنفيذي 11246 الذي يشترط على أرباب العمل التابعين للحكومة باتباع سياسة «التمييز الإيجابي» للتوظيف بغض النظر عن العرق، أو الدين أو الأصل القومي. وفي عام 1968، تمت إضافة نوع الجنس إلى قائمة مناهضة التمييز.

وهناك إجراءات مماثلة في دول أخرى مثل المساواة في العمل في كندا، والتمييز الإيجابي في المملكة المتحدة. وقد تم ادراج مفهوم التمييز الايجابي في العديد من الاتفاقيات والمواثيق الدولية. حيث نصت الاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري في المادة «2. 2» على أن سياسات التمييز الإيجابي قد يكون متطلباً على الدول التي وقعت على الاتفاقية، من أجل تصحيح التمييز المنهجي. كما نصت لجنة حقوق الإنسان (الحيوان بالأمم المتحدة أن مبدأ المساواة يتطلب أحياناً أن تلتزم أحزاب) الدول بالتميز الإيجابي، لكي تقلل أو تقضي على الحالات التي تتسبب أو تساعد في دوام التميز الممنوع بالميثاق.

معارضه التميز الايجابي:

شأنه شأن أي مصطلح طارئ في الفكر السياسي والاجتماعي الغربي، فان مفهوم التمييز الايجابي قد تعرض للنقد من قبل العديد من المفكرين السياسيين والاجتماعيين الغربيين، على اعتبار أن التميز الإيجابي يقلل من قيمة إنجازات الأفراد باختيار الفرد بناء على المجموعة التي ينتمي لها بدلاً من اختياره بناء على مؤهلاته، وأن للتمييز الإيجابي تأثيرات جانبية غير مرغوبة بالإضافة إلى فشله في تحقيق أهدافه. وأنه يعيق تسوية الخلافات، ويضع أخطاء جديدة محل الأخطاء القديمة، ويشكك بإنجازات الأقليات. وكذلك يشجع الأفراد على إبراز أنفسهم كأفراد محرومين حتى لو لم يكونوا كذلك. وقد يزيد كذلك من التوترات العرقية.

ورداً على هذه المعارضة، فإن التمييز الايجابي في جوهره ما هو إلا وسيلة من وسائل المساواة الفعلية، هدفه التنمية وضمان مشاركة كافة مكونات المجتمع في ممارسة السلطة والاستفادة من خيرات الوطن. وباعتباره وسيلة لا غاية في حد ذاته فمن الطبيعي أن يكون مؤقتا في الزمان، ولكنه توقيت مرتبط بالنتيجة، فكلما بلغت الفئة المعنية الحد اللازم لتكون على قدم المساواة مع البقية كلما فقد التمييز الإيجابي مشروعيته.

دستورية التميز الإيجابي

تنص كل دساتير الدول تقريباً على المساواة التامة لكافة المواطنين المساواة أمام القانون دون تمييز في الأصل والعرق والجنس والمكانة الاجتماعية، من هنا يقول البض برفض التمييز الإيجابي على اعتباره منافياً للنص الدستوري، وتتنازع هذه النظرية ثلاثة مدارس، تقول أولها بضرورة إعلاء نص الدستور على غيره من الاعتبارات وبالتالي ترفض التميز الإيجابي.

أما المدرسة الثانية فترى أن مبدأ المساواة المنصوص عليه في الدستور يمكن تعطيله عند الضرورة وهنا يمكن تطبيق التميز الإيجابي بصيغة «الإعفاء» لأنه، أي التمييز، يعتبر فعلاً سياسياً مؤقتاً ومحدود زمنيا، تجب إزالته فور تحقق أهدافه

المدرسة الثالثة، ترى أن التميز الإيجابي يخرج عن دائرة المساواة المنصوص عليها في جميع الدساتير وترتبطه بإعادة تعريف العقد الاجتماعي وارتباطه بمبدأ الإنصاف لا بالمساواة. إنها مدرسة فرنسية تتخذ من مقولة فيكتور هوغو الشهيرة، أساسا لها. فقد نقل عنه قوله: «لا شيء يفوق العدالة، سوى الإنصاف»، إذا هنا يقوم مفهوم التميز الإيجابي، على مبدأ الإنصاف الذي يعلي من شأنها على حساب المساواة المطلقة في المعاملة.

تركي الحمد: من هنا يبدأ التغيير

■ ياسر مرزوق

كتابنا اليوم للكاتب والمفكر السعودي تركي الحمد، الذي قدم لروايته الشهيرة «أطياف الأزقة المهجورة» قائلاً: أينما أعيش يوجد ثلاثة محرمات: الدين، السياسة، الجنس. من المحظور الحديث عن تلك الأشياء. كتبت هذه الثلاثية لإحياء هذه الموضوعات، واليوم يقدم لنا الحمد كتاب «من هنا يبدأ التغيير»، الذي لا يدعي فيه التوصل إلى وصفةٍ جاهزة للتغيير، بل هو بحثٌ عن كيفية البدء في التغيير، وعن ممكنات التغيير، من خلال تحليل معضلة الأزمة التي تعانيها الثقافة والهوية العربيتان، ويبحث عن الحلول لها، ويتطرق إلى التأثيرات السلبية التي أفرزتها الأحداث والحروب التي عصفت بالعالم العربي، وجعلت الفكر العربي قاصراً وعاجزاً أمام تحديات الديمقراطية والتغيير.

يشرح المؤلف أسباب تقهقر السياسة العربية، ويرى أن العرب بحاجة إلى خطاب وثقافة جديدين ومتحررين من قيد لغة «خشبية « نخرها السوس، حتى يسهموا في صناعة الثقافة البشرية الشاملة الآخذة في التكون في عصر العولمة، لكي لا يبقوا شهود زور لا يرون ولا يفقهون شيئاً مما يدور حولهم.

في الفصل الأول وتحت عنوان «ويبقى الخيار قائماً»: يتحدث الحمد عن إشكالية النص والتطبيق وحرية الاختيار استناداً لمرجعية محددة أو أساس نظري، ابتداءً بالأديان مروراً بأي نصٍ مجرد، كالماركسية بوصفها نسقاً فلسفياً وإيديولوجياً، قائلاً: «لا حركة من دون مرجعية، ولا فعل من دون أساس نظري غالباً، ولكن ذلك لا يلغي حرية الاختيار، ففي إطار المرجعية الواحدة والنص الواحد، يمكن مثلاً أن نختار طريق العنف أو طريق السلام، وطريق التعصب أو طريق التسامح، وطريق الدمار أو طريق البناء، فالمرجعية الواحدة، والنص المجرد الواحد، قادران على منح كل هذه الخيارات».

في الفصل الثاني وتحت عنوان «على شفير الهاوية» يتحدث الحمد عن أزمة الهوية التي يعيشها الإنسان العربي، ففي حين يعيش الغرب أزمة ما بعد الحداثة بحسب بعض الفلاسفة، أي أزمة البحث عن معنى روحي لكل الانجازات والمنجزات العلمية التي قدمها للبشرية، أي أزمة معنى، يعيش الانسان العربي أزمة ما قبل الحداثة، أو فخ ما قبل الحاثة، أزمة الإفراط في المعنى، مما قد يعني ضياع المعنى نفسه.

في الفصل الثالث «خصوصيتنا زمن العولمة» يتحدث الكاتب عن الخصوصية المفترضة التي تقدمها المجتمعات العربية عن ذاتها، موضحاً أن الادعاء بخصوصية فريدة غير متأثرة بغيرها من خصوصيات، لا يعبر عن الحقيقة بقدر ما يعبر عن ما يسمى في علم الاجتماع «التقوقع الثقافي» الذي عرّفه «جان فرانسوا بايار» بأن كل بيئة تكسب الفرد شخصية وسلوكاً وأفكاراً وعقلية متميزة، ولكن هذا الفرد يعتبر أن أي تفاعل أو تداخل مع ثقافات أخرى لابد أن يؤدي إلى فقدان الأصالة.

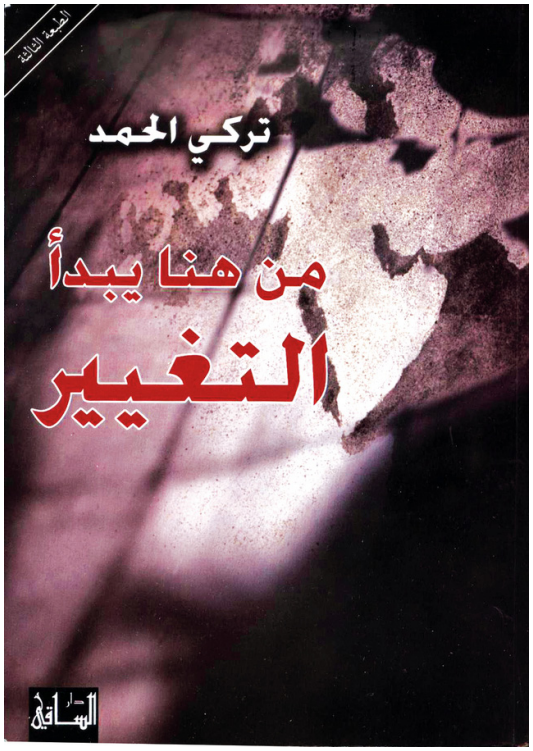

يقول الحمد: «لرافضون للعولمة رفضاً مطلقاً، باسم حماية الخصوصية الثقافية والهوية، مصيرهم الاندثار. والتاركون أنفسهم للموج يحملهم كيف شاء وأنى شاء، مصيرهم الاندثار أيضاً».

في الفصل الرابع الذي أتى بعنوان «من هنا يبدأ الأمن» يقول الحمد: «الأمن الحقيقي لأي دولة وأي مجتمع لا يبدأ من الزاوية البوليسية، فهو مسألة اجتماعية قبل أن تكون سياسية، فالمجتمع المستقر هو دعامة للاستقرار السياسي، وأمن الدول وانهيار الدول يبدأ من انهيار مجتمعاتها، وأهم دعامة لاستقرار المجتمع هي الإحساس الفردي والجماعي بالانتماء، وعندما يحس الأفراد والجماعات بأن هناك علاقة وجدانية تربطهم بالمجتمع والدولة قائمة على الحقوق والواجبات، فإنهم يرتبطون بالمجتمع والدولة ويحمونهما، أما عندما تكون الواجبات هي المذكر به دائما من دون أن تكون هناك حقوق في المقابل، فإن الأفراد والجماعات يفقدون الرابطة الوجدانية بالدولة ومن ثم فإن النتيجة تكون هي الضياع وفقدان الإحساس بالانتماء».

وفي معرض حديثه عن الأمن يتحدث الحمد عن الطبقة الوسطى ودورها في تحقيق الاستقرار في أي مجتمع من المجتمعات: «عندما تكون الطبقة الوسطى واسعة، أي أنها أوسع الطبقات، مع قلة ثرية وقلة مدقعة فإنه حتى وإن كان هناك حرمان نسبي، وهو لا بد من أن يوجد بدرجة أو بأخرى، فإن معنى ذلك أن الطبقة مفتوحة وذلك يعني مرونة الحراك الاجتماعي بشكل نسبي كبير، وأن مصلحة الطبقة في بقاء الأوضاع على ما هي عليه «أي التركيبة الاجتماعية»، وحتى إذا جاء أحدهم بأفكار راديكالية أي «قلب التركيبة» فإنه لن يجد الصدى الكافي أو الدعم الكافي لتحقيق هذه الأفكار، إذ أن الطبقة الوسطى عقلانية بطبيعتها، وبالتالي فإنها تقلب أوجه الربح والخسارة والمأمول والواقع، وبناءً على هذه المقارنة تقرر دعم هذه الفكرة أو رفضها، ولعل الاستقرار النسبي الذي يعيشه المجتمع الأمريكي والمجتمعات الغربية الديمقراطية خير دليلٍ على ذلك».

يختم الحمد كتابه في الفصل الخامس تحت عنوان «من هنا يبدأ التغيير» بأن التغيير لابد من أن ينبع من المجتمع الذي يجب أن يصل إلى الوعي بأزمته، أما السلطة فهي في الخاتمة إفراز اجتماعي قبل أن تكون أداةً لتشكيل المجتمع، وهي لن تكون إلا الصورة أو الشكل الذي يأخذه المجتمع سياسياً فكيفما يكن المجتمع تكون السلطة.

وعلى السلطة أن تكون ذات دور إيجابي متى ما بدأت رياح التغيير مع بداية الوعي بالأزمة في الفرد والمجتمع، إذ أن استيعابها للتغير والمتغيرات هو الطريق الوحيد لاستمراريتها وحيويتها، أما الخيار الثاني فهو أن تتكلس وتصبح عاجزةً عن التكيف، ويصير الاندثار هو المآل.

تركي الحمد:

الدكتور تركي حمد تركي الحمد البريدي، المعروف بتركي الحمد والمولود في 10 مارس 1952 في مزار الكرك بالأردن لأسرة سعودية تنتمي إلى القصيم من جماعة التجّار الرّحل المعروفين بـ العقيلات، هو كاتب وروائي سعودي، وأحد رموز ما يصطلح على تسميته بالتيار الليبرالي في المملكة العربية السعودية.

عاش مرحلة شبابه ومراهقته في الستينات والسبعينات الميلادية بالدمام، وهي المرحلة التي عاش فيها العالم العربي تحولات فكرية وسياسية متضاربة، وأحزاب قومية متناقضة من القومية والناصرية والبعثية.. إلى الاشتراكية والشيوعية وغيرها من الأحزاب.

ألقي القبض عليه وهو في السنة الأولى الجامعية في جامعة الملك سعود وذلك بعد كشف التنظيم، وبقي في السجن ما يقرب من سنتين وبعد الإفراج عنه سافر إلى أمريكا للدراسة.

اشتهر بثلاثيته أطياف الأزقة المهجورة، والتي نشرت لأول مرة عام 1998. بالرغم من حظر نشرها في السعودية، البحرين، والكويت، فقد بيع أكثر من 20. 000 من الرواية، ونتيجة لكتاباته، صدرت ضده ثلاث فتاوى من رجال الدين السعوديين، وأعلنه تنظيم القاعدة مرتداً ولا يزال يقيم في الرياض، ويقول أن تلك الفتاوى «مصدر إزعاج أكثر من أي شيء آخر».

يقول الحمد: «للتاريخ قوانين، وللسلوك البشري نواميس، وللكيانات سنن قد لا تكون بدقة وصرامة قوانين الطبيعة ونواميسها وسننها ولكنه موجودة، وقد لا يستطيع الإنسان تغيير مصائر معينة، ولكنه يحاول من خلال المعرفة أولاً، وفي المحاولة يكمن معنى كل الوجود، منذ أن أكل آدم من الشجرة المحرمة فأخطأ بحق ربه، وحتى تاب ربه عليه بعد ذلك، وكان من الصالحين».

نشيد الإنشاء

■ أحمد سويدان

قصة قصيرة من مجموعة غير منشورة بعنوان (وحلٌ المساء)

"1"

همس شاويش العنبر في أذنه وقد انحنى على فراشه وبطانيته وعازله:
- ر أنت مناوب هذه الليلة.
- حاضر.
- من الثانية بعد منتصف الليل إلى الرابعة.
- كما تشاء، ومن بَعدي؟
- أخوك عبود.
- هو مريض ومحموم.
- لا استطيع تدبير الأمر.
- أعرف.
- حارس السطح لا يرحم.
- عبود على الحافة.
- كلنا كذلك.

يتذكر)وهو صغير) انهيار مقدمة السقيفة في دارهم، عامود الوسط تقصف، مال، ترنح ذات اليمين وذات الشمال ثم هوى، انخذل العامودان الجانبيان وتقهقهر الثبات، فسجدت من الأمام وركعت من الخلف، كما يتذكر وهو يرافق والده إلى الطاحونة يسوقان الطحنة على دابتهم الهزيلة، فجأة تخلخلت إحدى أرجلها الأماميتين، وارتجفت الثانية، ثم هوت على صدرها فغاص رأسها في الطين والوحل، لأيام أنَّت، توجعت، ثم نفقت.

"2"

تبدأ المناوبة من المساء حتى الصباح، يتعين لها كل ليلة ستة نزلاء، يراقبها حارس السطح من الكوة الدائرية، المناوب يقف تحت الكوة كالتمثال. طبق هذا النظام على العنابر المغلقة منذ ستة أشهر، قيل لصالح النزلاء، ومن أجل سلامتهم، فالبعض صار يمشي وهو نائم، والبعض حاول إمساك حبالاً نازلة من جدائل النجوم ليحيط بها عنقه، والبعض حاول ثقب الحائط بدبوس صدئ لأنه يريد رؤية ضوء صادر عن القمر متربص وراء الحائط، آخرون شكلوا ورشة نتف للحواجب، بدؤوا بأنفسهم، واتفقوا أن يداهموا النائمين ليلاً، حاملين خيطانهم المتوترة يرافقها همس معلق في الفراغ، وخطوات بلا ضابط ولا حساب.
عندما حلّت الساعة الرابعة مضى الشاويش على ركبتيه إلى منير:
- مناوبتك أوشكت على نهايتها.
- لو استمر ولا توقظه.
- أخاف أن تكون نهايتي ونهايتك.
- حاول.
- انت تعلم وأنا أعلم، لا يمكن، سأوقظه.
مضى عبر الممر الضيق نصف منحن حتى وصل فراش عبود.
- انهض.
- سأحاول.
- أراد أخوك أن يستمر مكانك.
- إذا عرف الحرس قضي عليكما.
- لف جسدك بالبطانية.
النوم يحلق في سماء العنبر خائفاً ومحموماً ومرتجفاً، نظر الشقيقان في بعضهما، أحدهما غادر والآخر وقف عنوة، اطل الحارس من الكوة:
- لماذا البطانية؟
- أنني محموم.
- ألقها أرضاً.
- أمرك سيدي.
- ألا تعرف الأصول؟!
انكشف لباسه المهترئ، بنطال منامة رقيق مقصوص من عند الركبة مرقوع أكثر من عشر مرات، كل رقعة من لون، أما قميصه الشيّال فمخزوق من الخلف ومن الأمام خزوقاً واسعة، قال:
- آه لو أشرب كوباً من الشاي، تعم ومع الكوب أدخن سيجارة.

"3"

رأى نفسه أيام زمان عندما قرر التأخر في دائرته إلى الساعة الرابعة، كان لديه جرّد فهو متعهد رواتب مديرية التربية والتعليم في محافظته، طلب منه التفتيش موافاته عن مدخلات ومخرجات الصندوق، حينها دخلت أمه عليه وهو منهمك:
- هل حقاً قررت عدم الرجوع إلى البيت؟
- أنا؟!
- نعم أنت.
- من قال ذلك؟
- عائدة، تقول إنك هددتها البارحة بالطلاق.
- هي قالت؟
- لأنها حرقت الطبخة.
- يا أمي، ليست هذه هي المرة الأولى التي تحرق فيها الطعام.
- طفلها الرضيع يبكي يجب أن تساعدها.
- يا أمي كما ترين، ساعات الدوام لا تكفي لإنهاء شغلي.
- لا أريد أن اسمع منك كلمة: طلاق، عائدة ابنة أختي هي تعمل خدامة لك ولي ولولدها ولا تنطق.
- هل عاد أخي من سفره؟
- نعم.
- لماذا تأخر؟
- اصطدم صهريج بشاحنته على الحدود.
- هل هناك أضرار؟
- إنها خفيفة، أحضر لك شاياً ودخاناً.
- أمي، سأكون في البيت الرابعة والنصف.
يذكر الآن طعام ذلك المساء، صينية من " الكفتة" مغطاة بشرائح من البندورة، بعد العشاء شرب من شاي "الباش" ودخن سيجارة من دخانه المفضل الذي يحمله أخوه إليه من البلدان العربية المجاورة.

"4"

تحركت خطوات الحارس ببطء وتثاقل فقطع جميع النائمين أنفاسهم وطار قلب المناوب المحموم، والذي أصبح متخشباً، وهمت به "الرجفة" كما داهمته نوبة الربو، ركبتاه بدأتا بالإهتزاز، رأسه ثقل، وضغطه اللفيف المقرور، راح شعره يفرز عرقاً بارداً ولزجاً، نبهه الحارس عندما وقف فوق الفتحة، مباعداً بين رجليه:
- ابق ثابتاً، إياك من الميلان.
وهو يبول نادى على الشاويش:
- نعم سيدي.
- قدم التفقد.
- سبعون نياماً، تسعة في دورة المياه، واحد مناوب، المجموع ثمانون سيدي.
وعند آخر جمل، وآخر قطرة، احترقت زجاجة الضوء.
نادى الحارس الحارس الأقرب بصوت هادر وراعد، انتقل النداء من سطح إلى سطح ومن حارس إلى حارس، وبعد لحظة حضرت عدة زجاجات، وانفتح باب العنبر، وقدم الشاويش الصف للرقيب رئيس الدورية، صرخ هذا:
- ياشاويش.
- نعم سيدي.
- لماذا احترقت الزجاجة؟
- من نفسها.
- لا يمكن، أيها الحارس.
- نعم سيدي.
- ألم تلاحظ حركة ما؟
- سمعت حركة كنت بصدد رصدها، أظن أن المناوب رشها بالماء.
- يا شاويش!
- نعم سيدي.
- اصفع المناوب ثمانين صفعة.
- سيدي، هو مريض.
- نفذ، ثم اعترض.
- حاضر.
- اعدد.. يا ويلك إن غلطت فستعود إلى العدّ من البدء.
لا أحد يعرف متى مات المناوب، هل في نهاية الصفعات أم في أولها والسبب أنه بقي واقفاً.
أحد الطيور التي أطلقتها أم عبود حام فوق المكان، أرتعش من البرد وداهمته بداية العاصفة فانتزعت من أحد جناحيه بعض الريش فهوى مذعوراً في كومة من العشب.

عمل للفنان عاصم الباشا

تاريخ من لا تاريخ لهم
يوميات سجين

■ أحمد سويدان
1991 - 1994

13 / 1 / 1993

في آخر الممر جلسنا نشرب المتة نداوي بمائها الحار هذا البرد الشديد كنا من: «البعث الديمقراطي» و«المكتب السياسي» وحزب «العمل الشيوعي» والحزب الناصري الاشتراكي.

بدأ الحديث كالتالي: اعتقادي أن السلطنة العثمانية لو استمرت كان أفضل بما لا يقاس من مجيء الغرب وغزوه لنا. لو استمرت السلطنة لما كانت هناك تجزئة، ولما كان للصهيونية أن تستبيح فلسطين وتشرد شعبها.

إذا قلتم أن السلطنة كانت تضطهد العرب، لقلنا أن فرنسا وإنكلترا زادتا من قسوة هذا الاضطهاد واحتلتا الأرض والخيرات وداست على الوطن وصار مستباحاً.

إن تركيا التي ولدت على يد مصطفى كمال بعد سقوط السلطنة لم تخضع أبداً للاستعمار الغربي أو الاحتلال وقد حاول الإنكليز والفرنسيون تقسيمها ونهبها وتفتيتها معتبرين إياها من تركات (الرجل المريض). ولكن أتاتورك هب من الرماد ووحد بقايا جيوش السلطنة وانطلق يصد من الشرق والجنوب والغرب الغزو لبلاده ولم يتفق مع أحد من الغرب.. لقد أدرك أنهم غزاة، وبرابرة.

هذا ما قاله مدرس التاريخ من المكتب السياسي. لف الجميع الصمت أجابه من «البعث الديمقراطي» حامل الماجستير في الأدب العربي الذي كان له اطلاع واسع في علمي النحو والصرف.

قال: أيها الرفيق طرحت أموراً صعبة، وعليها إشكاليات، وخلاف.. الدولة العثمانية كانت غاشمة وتضطهد، وهذا صحيح ولكن المماليك لم يكونوا أحسن. الأيوبيون تصدوا للصليبيين.. السلاجقة الأتراك كانوا يضطهدون، وكان الخليفة بيدهم رمزاً وشكلاً، وقبلهم كان البويهيون. كل هؤلاء كانوا أجانب، ولم يكونوا برمتهم سيئين.. ماذا كان العباسيون في عهد قوتهم، وماذا كان الأمويون، كانوا: أولاً قياصرة، وكانوا مستبدين، وكانوا قد عملوا من الاختيار للحكم، حقاً وراثياً، وكان بيت المال ملكهم، لذا من الخطأ نعت آل عثمان بأنهم استعماريون وغزاة فهذا ينطبق على كل الذين قبلهم. هم جزء من تاريخ الصراع على الحكم في المنطقة. ألم يكن المماليك كذلك؟ والزنكيون كذلك والأرسلانيون.. لقد تصدوا جميعاً للغزو الصليبي بهمة وثبات.

قال الذي من حزب العمل: اسمحوا لي برأي مختصر المفاضلة بين الدولة العثمانية، والاستعمار الغربي مثل المفاضلة بين نظام صدام حسين الشمولي المستبد، وبين الإمبريالية الأمريكية، كلاهما ضد الشعب وضد التعددية وضد الحوار.

الدولة العثمانية سيئة ولكنها تكملة لنسيج المنطقة، والاستعمار الغربي أسوأ وهو دخيل على المنطقة، والعرب منذ مئات السنين بلا إرادة، بلا كيان، بل وبلا دين.. بلادهم محتلة ووهم غير قادرين على قيادة مصيرهم ومواجهة الغزاة.. لقد كانوا منذ زمن سحيق خارج التاريخ وخارج الحضارة، وخارج الفعل المؤثر.. خضعوا للخلافات وامتطوا الخيال وكانوا نصف عبيد لا يدرون ماذا عليه العالم وما هي النهضة وما هو التساؤل أو النقد أو الاحتجاج مستسلمون لليل مدلهم، تعودوا التذلل وتقديم التبركات للغزاة، ولحوافر المحتلين الذين لا يردعهم دين ولا وجدان. يعملون لإعلاء شيئين أثيرين هما: القتل والنهب.

سُئل المنخرط في التنظيم الناصري ماذا تريد أن تقول؟.. أريد أن أقول أن الاستعمار الغربي عندما عاد بعد الحرب العالمية الأولى، كان الشعب منهكاً وبائساً ولا يعرف في أكثريته ما هي الدولة، وما هو القانون وماهية الحكم.

قد ابتعد مئات السنين عن الحق والعدل اللذين حملهما الإسلام الراشدي، فساد الفرنسيون والإنكليز علينا وأنشؤا حكومات شكلية خالية من الاستقلال والإرادة ولم يزل هذا هو السائد حتى الآن. فلما استقلت البلاد العربية بالحدود المرسومة.. كان الاقتصاد مرتهناً وكانت الإرادات شبه مسيرة.

أسأل: ألم تكن هناك أحزاب وجمعيات مدنية؟.. منذ القرن التاسع عشر وتحت نير الدولة العثمانية ومنذ 1850 كانت استنبول عاصمة السلطنة تعج بالصحافة والمتنورين من عرب وأتراك وإذا كان هنا استبداد وإرادة عليه للسلطان والصدر الأعظم فإن ذلك كان يقع على الأتراك والعرب والقوميات الأخرى.

وتطورت هذه الجمعيات، واتسعت الأحزاب والصحافة.. نذكر من دمشق شكري العسلي ومن حمص عبد الحميد الزهراوي ومن حلب عبد الرحمن الكواكبي.. وبعد ذهاب الدولة العثمانية اتسعت دائرة الطباعة وبدأ تشكيل الأحزاب.. فمنذ عام 1924 تأسس الحزب الشيوعي في لبنان وسورية ومنذ عام 1933 تأسس في لبنان وسورية الحزب القومي السوري الاجتماعي، ومنذ عام 1938 تأسس حزب الإخوان المسلمين امتداداً للإخوان في مصر برئاسة الدكتور مصطفى السباعي، ومنذ عام 1943 تأسس المنتدى العربي الذي صار فيما بعد حزب البعث العربي الذي اندمج مع العربي الاشتراكي قبل سقوط الشيشكلي.. وكان حزب الشعب تأسس منذ عام 1923 والحزب الوطني الذي انشق عنه وضم نواب دمشق في الثلاثينات من هذا القرن.

أسأل سؤالاً مهماً: لماذا هذه الأحزاب لم تعمل مع بعضها لدحر الاستعمار ومواجهة التجزئة والصهيونية؟

هذه الأحزاب تأثرت بشكل الأحزاب في أوربا وخاصة فرنسا وفي روسيا، ولكنها كانت تحمل مضموناً شكلانياً وشعاراتياً يحدوها حب الظهور والحكم، وكانت تنظر إلى بعضها نظرة عدوانية مما صرفها عن مواجهة الاستعمار، وانصرفت لمواجهة بعضها. وفي ظل تشكيلاتها غير الفاعلة حدثت نكبة فلسطين، وفي ظل حكومات إسمها: وطنية، انهزمت الجيوش العربية على يد العصابات الصهيونية.

الكتلة الأساسية من الجماهير كانت تبتعد عن الحزبية لكي لا تنخرط في الاحتراب والتكتل والتعصب، وكانت متروكة لفقرها وأميتها وخرافاتها المتوارثة.

- هذا اليوم يكفي. غداً نلتقي إذا لم يحدث إفراج وهكذا انقضت الجلسة الأولى.

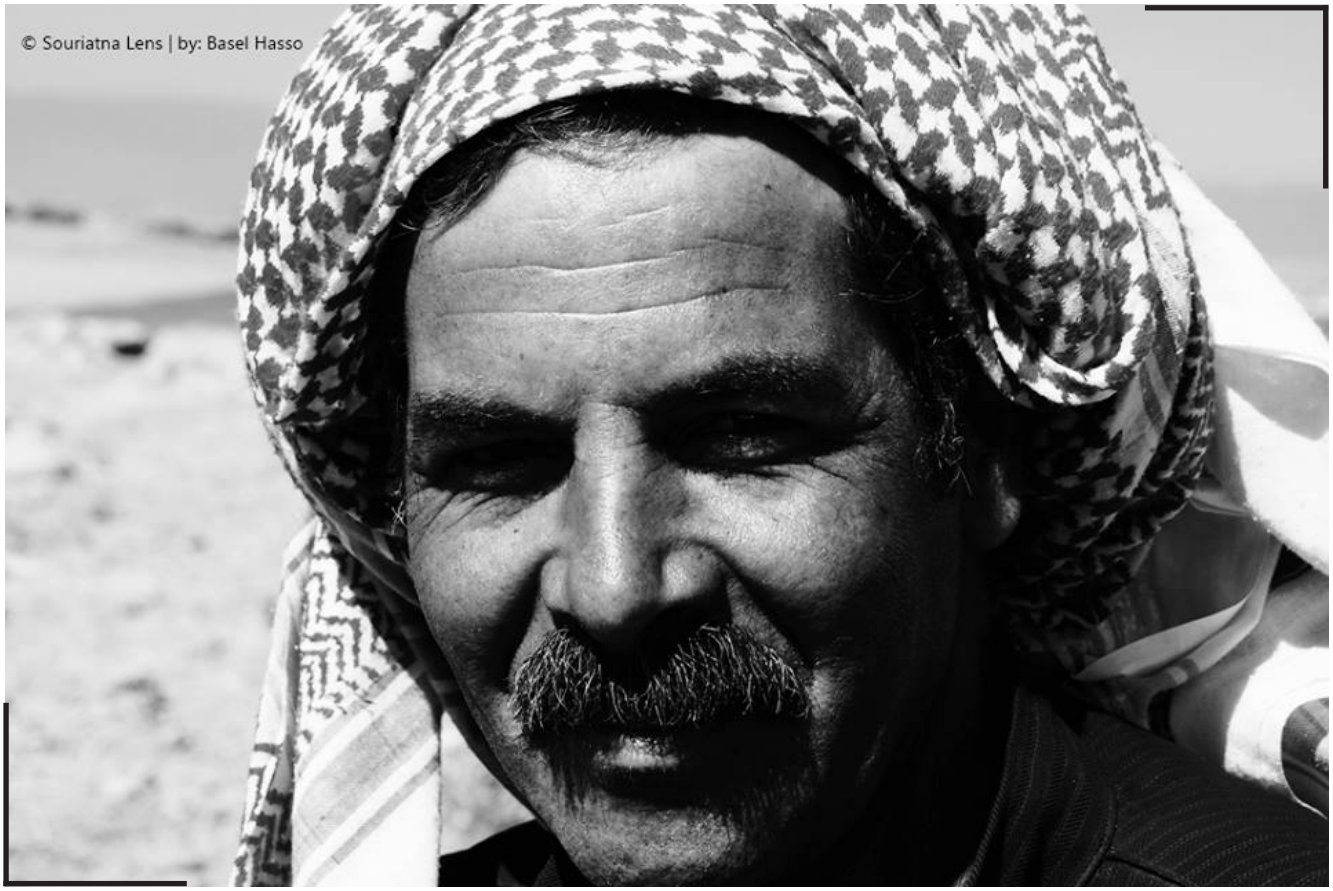

أهلا بك في أرضنا أيها الغريب. أتمنى لك طيب الإقامة بيننا.
ريف سوريا - 2014 | تصوير: باسل حسو

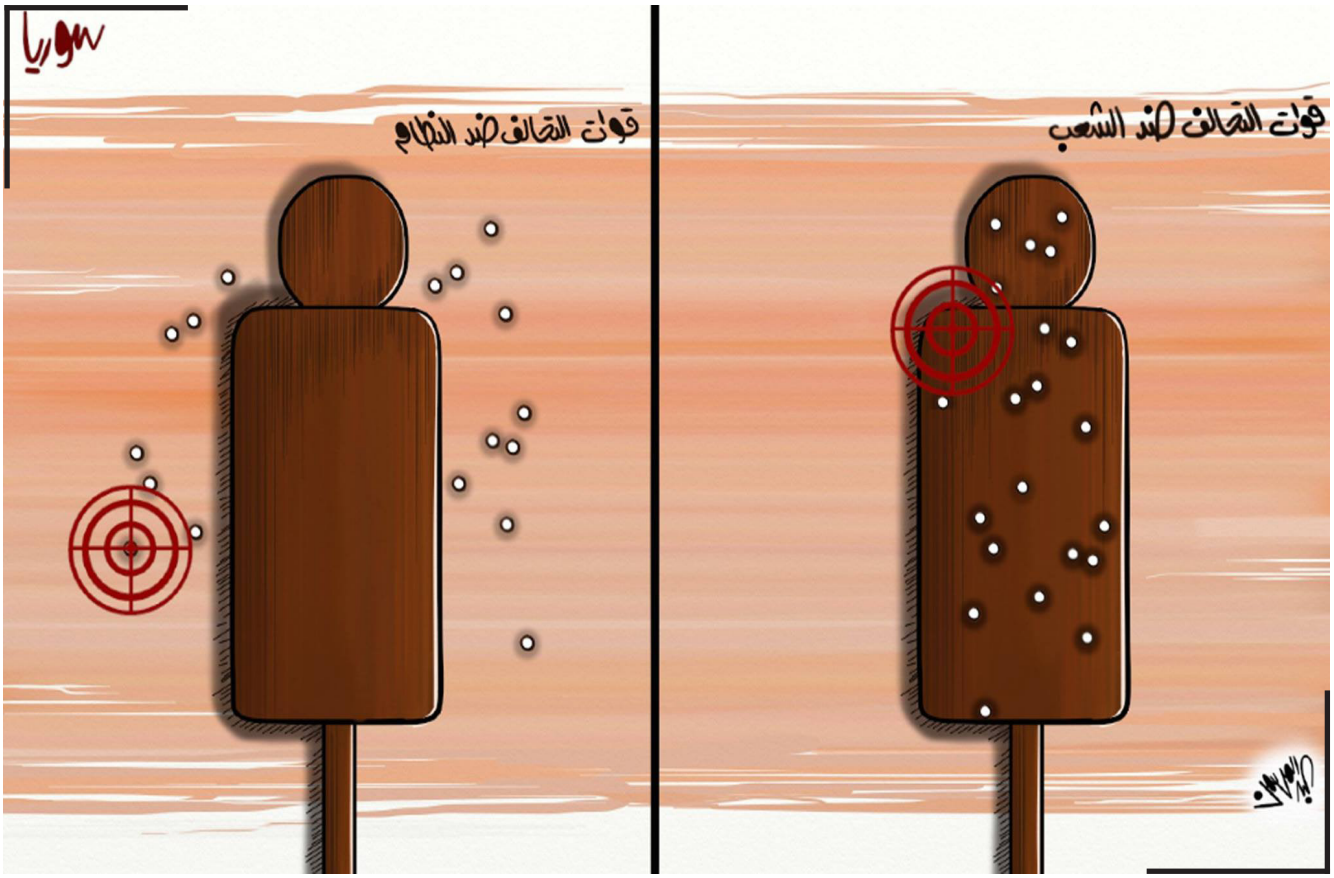

كاريكاتير الفنان عبد المهيمن بدوي

للمراسلات والتواصل مع هيئة التحرير souriatna@gmail.com

معرض التصوير الضوئي "حكايا المسافر" للمصور باسل حسّو في الذكرى الثالثة لتأسيس الجريدة

في مركز كيركاياك الثقافي - مدينة غازي عنتاب - تركيا

بدعم من: الشبكة السورية للإعلام المطبوع - جمعية سمارت لدعم الإعلام المستقل - راديو سوريالي - مركز كيركاياك الثقافي